عبد المنعم الهاشمي

نساء الأنصار



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م



دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا - ص.ب ٥٢٩٩
بيروت - الرملة البيضاء - هاتف ٨٠٢٢٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

باسم الله العليّ القدير أبدأ كلمتي هذه، وأُصلي وأُسلّم على رسول الله المعلِّم الأول الَّذي حَمَل إلينا كتاب الله مبشِّراً برسالته الإسلام، وداعياً إلى الحق بإذن من ربه.

وبعــد. . .

فقد كانت الحياة الاجتماعية للمسلمين في المدينة مثلاً عظيماً، وقدوة حسنة لرعية الإسلام في كل مكان، وها نحن أُولاء ندخل بيوت الأنصار، أنصار رسول الله ﷺ لنسمع ونرى كيف كانت الحياة داخل هذه البيوت المباركة.

إن سيرة نساء الأنصار هي منهج لنساء المسلمين عامة، فقد نزل القرآن مصنفاً لبعضهنّ، ومُشرِّعاً لأمرٍ سألن فيه رسول الله ﷺ.

وقد كان لقربهنّ من أُسرة الرسول ﷺ، دورٌ في إثراء سنّة رسول الله فمنهنّ مَن روت عن رسول الله ﷺ.

وقد وجدنا في هذه السيرة العطِرة ما يقتدى به، ويهتدى بهديه، فسيرة نساء الأنصار نبع فيّاض بالقدوة والهداية، لقد كُنَّ مجاهدات عابدات ساجدات، يُتلى في بيوتهنّ كتاب الله صباح مساء. وبقي أن نضرع إلى الله ونسأله القبول، فما رغبنا من كتابة هذه السطور إلا وجهه الكريم، ورحمته الفيّاضة والسلام . . .

عبد المنعم الهاشمي

الكويت في ٢/ ١٢/ ١٩٨٧ م

امرأة ينصفها القرآن

﴿ للرِّجالِ نَصِيبٌ ممَّا تَرَكَ الوالِـدَانِ والأَقْرَبُـونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَو كَثُرَ نَصِيباً مَفرُوضاً. وَإِذا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُواْ القُرْبَىٰ وَالْيَتَامىٰ والمَسَاكينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً. وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقواْ اللهَ وليقُولُواْ قَوْلاً سديداً. إِنَّ الَّذين يأكُلونَ أموالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصلونَ سَعِيراً ﴾[1].

أُمُّ كُجّة الأنصارية، إحدى نساء الأنصار اللاتي أَنْزَلَ الله فيهنّ قرآناً[2]. سيدة فاضلة، صابرة، شُرِعَ من أَجلها جانب هام من جوانب الميراث، وأصبح نصيباً مفروضاً، ونبّه القرآن

---

(١) سورة النساء الآيات: ٧، ٨، ٩، ١٠.

(٢) ورد سبب نزول الآية ﴿ يوصيكم الله ﴾ في أسباب النزول للسيوطي على هامش الجلالين ص ٩٧، من أسباب النزول للنيسابوري.

بعد هذا التشريع المسلمين إلى أن يلتزموا تقوى الله في أموال اليتامى، خشية أن يتركوا خلفهم ومن بعد وفاتهم أبناء صغار السن ضعفاء لا حيلة لهم، خافوا عليهم وأزعجهم ضعفهم، وأخذهم الخوف من عدم وجود عائل لهم وهم ما يزالون قليلي الحيلة، في حاجة شديدة لمن يرعاهم.

إذا تذكّر هؤلاء الناس الذين تحدّثهم أطماعهم في أموال اليتامى، فيجب عليهم أن يقضوا بين أهليهم بالحق، حتى يجدوا من ذريتهم رحمة الله وحنانه وعطفه عليهم.

ولكن ما هي قصة أُم كجة؟ وما حدث لها؟ ولبناتها؟ ومَن زوجها الذي تُوفيَ وتَرَكَ لها بناته؟ وهي مسؤولية يجب أن تتحملها بأمانة وتواجه من أجلهما عواطف وأطماع الطامعين في أموال اليتامى والضعفاء والمساكين؟!! كل هذه الأسئلة سنجيب عنها في سيرة أُم كُجّة.

أُم كُجّة إحدى نساء الأنصار المؤمنات. عاشت في مجتمع فاضل هو مجتمع المدينة المنورة كما يعيش غيرها من المسلمين، تحت قيادة إسلامية مؤمنة شريفة مباركة ألا وهي قيادة الرسول ﷺ، كانت صوّامة قوّامة تؤدي فرض الله سبحانه وتعالى، وتسمع من رسول الله ﷺ من وراء حجاب شأنها شأن نساء المسلمين في هذا المجتمع المبارك.

كانت أُم كُجّة زوجة لرجل من الأنصار هو أوس بن ثابت

الأنصاري وهو من بني عديّ بن عمرو بن مالك ينتهي نسبه لبني النجّار في المدينة[1].

وقد شهد مع أشراف قومه بيعة العقبة الثانية وأسلم قبل هجرة الرسول ﷺ، كان رجلاً ميسور الحال، لديه ما يكفيه وأهله من المال، وشارك في استقبال رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين من مكة، وشهد بناء مسجده وشارك فيه، وكانت أُمّ كُجّة زوجة مخلصة لأوس بن ثابت الأنصاري أنجب منها بنتاً، وسُرّ بها أعظم ما يكون سرور الرجل ببناته، مخالفاً بذلك جهل الجاهلية الأولى قبل مبعث الرسول ﷺ حينما كانت الفتاة غير مرغوب فيها، حتى إنهم وصلوا إلى وأد البنات ودفنهنّ أحياء فجاء الإسلام وأوقف كل هذه العادات الضالّة للجاهلية والجاهلين.

مضت أُمّ كُجّة إلى مسجد رسول الله ﷺ بصحبة زوجها أوس بن ثابت الأنصاري لتشارك في صلاة الجماعة خلف رسول الله عملاً بسنّته الشريفة وطاعة للرسول الكريم الذي قال: «صلاة رجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه سبعاً وعشرين درجة».

أدّت صلاتها وعادت إلى بيتها وانصرفت لرعاية ابنتها والوقوف على حاجات الزوج الكريم، وما تكاد تفرغ من مَهامها

(١) الاستبصار في نسبة الصحابة من الأنصار ص ٥٠: ٥٢.

كأم وزوجة حتى تنكبّ على كتاب الله الكريم، مما كتب زوجها على بعض الجلود، وجذور النخيل وتقرأ ماتيسر من آيات الله الكريم، وتحفظ ما تيسر لها منه.

وذات يوم بينما الحياة تنتظم في المدينة في ظل توجيهات الرسول ﷺ إذا بأم كُجّة تسمع أن عِيراً لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب زعيم قريش وعلمت أنَّ المسلمين قد فكروا في اعتراض العير، ليستردّوا أموالهم التي تركوها في مكة، واستولى عليها كفّار مكة ومشركوها.

كان الرسول ﷺ عائداً لتوه من غزوة العُشَيْرَة التي خرج فيها لغزو قريش ولم يلقَ قريش فعاد إلى المدينة، وما أن استقر فيها حتى سمع بأبي سفيان فدعا المسلمين للخروج إليه وقال: هذه عير لقريش فيها أموالُهم فاخرجوا إليهم عند ذلك أجاب الناس وأسرعوا طاعة للرسول ﷺ ورغبةً في الجهاد في سبيل الله.

قال أوس بن ثابت الأنصاري لزوجه أُم كُجّة: ياأُم كُجّة سوف أمضي مع رسول الله ﷺ للتصدّي لعِير الكفّار وإبلهم، وأُشارك المسلمين جهادهم. فقالت: بارك الله فيك وفي شجاعتك وصدق إيمانك، وددت أن أخرج معكم لأُعدّ الطعام لجيش المسلمين، وأحمل لكم سقاء الماء.

فقال أوس: ولكنكِ حامل في شهرك الأخير وابنتك هذه لمَن تتركينها في المدينة ثم أضاف باسماً، ألا يكفيكم جهادي في سبيل ودفاعي عنكم، سأُدافع ضعفين.

أشرق وجه أُم كُجّة علت ابتسامة عريضة ثم قالت: غنمت السلامة يا أوس اذهب تحفظك رعاية الله.

عندئذ خرج الفارس مسرعاً ليلحق بقافلة الأبطال يوم بدر، وقد داعبته امنية أن يعود فيجد زوجه وقد أنجبت له طفلاً جميـلاً تقرّ به عينه مع أُخته التي بدأت تمشي وتدبّ على الأرض في طفولة جميلة، وكلمات شيِّقة.

وكانت غزوة بدر، وما تحقّق فيها للمسلمين من نصر عظيم، عاد المسلمون ظافرين مع رسول الله ﷺ، وقد قُتل فيها أئمة الكفر في مكة وأُسر عدد من أشراف قريش، ونظرت أُم كُجّة في الجموع العائدة وقد سبقتها أخبار النصر، تبحث عن أوس، وتمسك بفؤادها خوفاً من استشهاده قبل أن يرى فتاته الثانية التي انضمت إلى أُختها، التقت عيناها بعيون الفارس البطل أوس وقد كان يشير من بعيد ضمن الزحام الشديد.

صافح الزوج زوجته، وقبَّل فتاته في المهد، وحمد الله وشكره على نعمته، وعادت بسمة الحياة لهذه الأُسرة، وللمدينة كلها وجلس أوس يقصّ على زوجته مشاهد غزوة بدر، وما حدث فيها، وكيف أن جيش رسول الله ﷺ كان ثلاثمائة فارس يزيدون قليلاً قد انتصروا على سبعمائة فارس.. وقصّ عليها ـ وقد جلست تشاركه الطعام ـ ما رواه أصحابه من سماع أصوات الملائكة الذين شاركوا في المعركة الكبرى، وما نزل من القرآن في هذا اليوم العظيم، سعدت أُم كُجَّة برواية زوجها

وحمدت الله وشكرته على نعمائه، وصلى الزوجان صلاة شكر لله عزَّ وجل على ما أنعم الله به عليهما وعلى المسلمين من نص مؤزر.

ومضت الحياة ساكنة مطمئنة ينعم المسلمون فيها بصوت بلال وهو يصدح كل يوم خمس مرات وصوته يملأ الأفق ويقطع سكون الفجر، فيقبل المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله ﷺ وتمتلىء شوارع المدينة بالغادين على المسجد وقد انتظمت الشفاه بتسابيح الفجر تسمعهم من المسجد يرتلون القرآن فكأنهم خلية نحل قد نشطت فأحدثت ترانيم من الطنين العبق المبارك.

واستدار العام، المسلمون ينعمون بنصرهم الذي حقّقوه والكفّار من قريش قد استعادوا أسراهم، وبدؤوا يعدّون العُدَّة للانتقام، وخرجت قريش بخيلها ورجالها والأحابيش من القبائل الذين حالفوهم، ومَن تَبِعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وصحبوا معهم نساءهم حتى يزدادوا شجاعة، وأقبلوا جميعاً حتى نزلوا جبل أُحُد.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وعرَّف أمرهم..

جاء إلى أصحابه وقال: إني رأيت والله خيراً، رأيت بقراً تُذْبح، ورأيت في ذُباب سيفي (أي في حدّ السيف) كسراً صغيراً، ورأيتُ أني أدخلتُ يدي في درع حصينة ـ فأوَّلتها

المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا في المدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرٍّ مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم».

وقف أوس بن ثابت الأنصاري يستمع إلى حديث رسول الله ﷺ بينما آراء المسلمين بدأت تطرح في المجلس كُلٌّ يُدلي بدلوه ويثبت رأيه فمنهم من قال: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنَّا جَبُنَّا عنهم وضعفنا. وقد قال أوس بن ثابت الأنصاري زوج أُم كُجَّة بهذا الرأي على ما يبدو.

ويخرج عبد الله بن سلول من وسط هذا الجمع فيقول: يا رسول الله، أَقِم بالمدينة ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عَدُوّ لنا قطُّ إلا أصاب منّا، ولا دخلها عدو إلا أصبنا منه. فدعهم يا رسولَ الله، فإن أقاموا أقاموا بشرٍّ مَجْلِس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال من وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا.

حسبنا أن أُم كُجّة وزوجها أوس بن ثابت الأنصاري قد رغبا أن يقولا لابن أُبيّ بن سلول أنسيت أننا خرجنا لهم في العام الماضي وانتصرنا عليهم. ولكن بعض المسلمين ممّن أحبّوا لقاء قريش ـ ما زالوا برسول الله ﷺ حتى دخل بيته، فلبس درعه، ثم خرج، فلما رأى المسلمون ذلك ندموا وقال بعضهم لبعض:

بئس ما صنعنا! استكرهنا رسول الله، ولم يكن ذلك لنا،

أنشير على النبي والوحي يأتيه من السماء!![1].

وانطلقوا إلى رسول الله معتذرين عمّا بدر منهم وقالوا: يا رسول الله اصنع ما شئت. فقال عليه السلام: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لامَته أن يضعها حتى يقاتل». عند ذلك عاد أوس بن ثابت الأنصاري ومعه زوجه أم كُجّة، كي يَعُدَّ العدّة لمشاركة المسلمين في هذه المعركة المشهودة، وراحت أُمُّ كُجّة تعدّ لزوجها سلاحه، وتعدّ خرقاً لتعصب بها رؤوس الجرحى وأياديهم من أبطال جيش المسلمين، ولم تنس أيضاً أن تعدّ السقاء لتسقي به المجاهدين في سبيل الله وبينما هي في انهماكها هذا جاء أوس وسألها في تعجب ودهشة:

وبنتانا أين نتركهما وأنت تخرجين معي للجهاد؟

فقالت أُم كُجّة: سوف أتركهما عند أُمي.

فصمت أوس ثم قال: على بركة الله تخرجين.

فقالت أُم كُجّة: لن أدعك تحصل على ثواب الجهاد دون أن أكون إلى جانبك يا أبا الأبناء.

استعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن أُم مكتوم على المدينة والياً عليها في غيابه يصلي بمَن ظل من المسلمين غير القادرين على الخروج.. وانخذل المنافق عبد الله بن أُبيّ بن سلول

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٣، السيرة لابن هشام ج ٣، السيرة الحلبية ج ١.

ومعه ثلث جيش المسلمين وراح يقول: أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري عَلاَمَ نقتل أنفسنا هاهنا أيّها الناس[1].

سمعه أحد المسلمين الخارجين للجهاد وهو عبد الله بن عمرو، فتبع مَن معه من الجيش يحذرهم ويقول: يا قوم، يا قوم اذكّركم الله! لا تخذلوا قومكم ونبيّكم!

قالوا لعبد الله: لوَ نعلم أنكم تقاتلون ما تركناكم، ولكن لا نرى أن يكون قتال.

وعادوا إلى المدينة فنظر إليهم عبد الله في حسرة وقال لهم: أبعدكم الله يا أعداء الله، فسيغني الله عنكم رسوله ومَن اتبعه من المسلمين.

وانطلقت أُمُ كُجّة تتبع زحف المسلمين وعينها لا تفارق زوجها أوساً وقد انطلق يجاهد في صفوف أصحاب رسول الله ﷺ.

وحقّق المسلمون الأبطال النصر على أعداء الحق من الكفّار والمشركين، وانسحبوا تاركين خلفهم غنائم كثيرة، ومن على الجبل، جبل أُحُد، ودون تذكّر نصيحة الرسول ﷺ ترك الرماة الجبل وخالفوا أمر النبي ﷺ عندما نبّههم قبل القتال إلى عدم ترك الجبل مهما كانت الأسباب، فالجبل حمايةُ لظهر المسلمين

---

(١) السيرة الحلبية ص ٤.

واستغلّ الكفّار هذه الثغرة وصعدوا الجبل وضرب ظهر الجيش الإسلامي العظيم فكانت أول هزيمة، واستشهد في هذا اليوم أبطال المسلمين من بينهم حمزة بن عبد المطلب، أسد المسلمين وسيفهم الضارب وعمّ رسول الله وحبيبه وأخوه في الرضاع، وحزن النبي من أجل حمزة حزناً شديداً.

وبحثت أُم كُجّة بين رجال المسلمين، فلم تجد أوساً، وجاءها مَن يقول هنيئاً لزوجك لقد نال الشهادة بعد الجهاد في سبيل الله وتحجرت دمعة في عيونها واسترجعت وهي تتماسك وتقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وعاد الموكب الإسلامي، وجراحه تنزف، وحملت أُم كُجّة همومها وراحت تستغفر وتسترجع، ولما دخلت على بناتها تركت دموعها تسترسل، فلم تعد تطيق ما حاق ببناتها، وغلبتها عاطفتها فأصبحت أسيرة لها، تنتحب إلى أن تهدأ العاطفة وتستقيم ركائز الصبر في جوانحها، وجعلت تصلي وتطلب من الله العون وتتذكر قوله عزَّ وجل: ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴾[1].

استشهد أوس بن ثابت الأنصاري وترك ميراثاً من المال يستطيع أن يكفي حاجة زوجته وبنتيه، وراحت أُم كُجّة تعالج ما حاق بها من ألم نفسي بالصبر والاحتساب، ولكن ما برحت

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٦.

ترمي أحزانها وتنصرف لتربية بناتها وتتقي الله في تربيتهنّ، فهنَّ بنات رجل من شهداء أُحد. حتى أصابها ما يؤلم النفس حينما يأتي الجور والظلم من أقرب النـاس إلى أوس، من أبناء عمومته.

فقد جاء سويد وعرفجة وهم أبناء عم لأوس بن ثابت وأخذا ماله كله ولم يعطيا امرأته شيئاً ولا بناته، وقد كان الناس في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير حتى وإن كان ذكراً إنما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى إلا مَن قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة[1].

حزنت أُم كُجّة وحملت أحزانها مما فعل الرجال في بنات أخيهم وذهبت إلى مسجد رسول الله ﷺ وجارت إليه تقول:

(يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك لي بنات وأنا امرأة وليس عندي ما أُنفق عليهنّ وقد ترك أبوهنّ مالاً حسناً وهو عند سويد وعرفجة لم يعطياني ولا يرفعا لهنّ رأساً)[2].

فدعا رسول الله ﷺ سويداً وعرفجة وسألهما في أمر بنات أوس بن ثابت فقالا: يا رسول الله ليس لها ولد يركب فرساً ولا يحمل كلاً[3] ولا يقتل عدواً. فقـال لهما رسـول الله ﷺ:

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري ص ١٢٠ تفسير سورة النساء الآية ٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) لا يحمل كلاً: لا يتولى شؤونه.

«انصرفوا حتى أنظر ما يُحدِث الله لي فيهنّ»، فانصرف سويد وعرفجة.. وانتظر الناس ردّ رسول الله ﷺ في هذه القضية.

وجاء الردّ من السماء وجاءت النصفة من الله عزَّ وجل، نزلت الآية الكريمة:

﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساءِ نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾[1].

ثم أكمل القرآن تشريعه الكريم بقوله عزَّ وجل:

﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلونَ سَعيراً ﴾[2].

وبعد هذا التشريع العام حدّدت الآيات نصيب كلٍّ من البنات وأُمهم أم كُجّة والرجلين من أبناء عمومة أوس بن ثابت الأنصاري، وجاءت التفاصيل في الآية الكريمة:

﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذَّكر مثل حظ الأُنثيين فإن كُنَّ نساء فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ما ترك وإن كانَتْ واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السُّدُس مما تركَ إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأُمه الثلث فإن كان له إخوة فلأُمه

(١) الآية: ٧ من سورة النساء.
(٢) الآية ١٠ من سورة النساء.

السُّدُس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيّهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴾[1].

لقد وضحت الصورة كاملة وأصبح كل حق بيِّن واضح لصاحبه، ودعا رسول الله ﷺ أُم كُجّة وبناتها، وأعمامها سويد وعرفجة وقال لهما: أعطِ البنتين الثلثين وأعطِ أُمهما الثُّمُن، وما بقي فهو لك عرفت أُم كُجّة نصيبها فهي الأُم نصيبها الثُّمُن ونصيب بناتها الثلثين فهما اثنتان وكانت هذه الآيات المباركة اليد العادلة التي أنصفت امرأة إنها أُمّ كُجّة زوجة أوس بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) الآية ١١ من سورة النساء.

أُم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿ قٓ. والْقُرءَانِ الْمَجِيدِ. بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذرٌ مِّنْهُمْ فقال الكافرُونَ هَذَآ شَىءٌ عَجيبٌ. أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ. قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظ. بَلْ كَذَّبوا بالحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ في أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[1].

حفظت أُم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية ـ قٓ والقرآن المجيد ـ من رسول الله ﷺ.

فها هي ذي تقول: كانت تنوِّرنا وتنوُّر رسول الله ﷺ، وما حفظتُ (قٓ والقرآن المجيد) إلا من فِيْ رسول الله ﷺ. وهي من المسلمات المبايعات اللائي أسلمن وبايعن في صدر الإسلام أبوها حارثَةُ بنُ النُّعمان، شهد بدراً، وبعض المشاهد، وكانَ دَيِّناً خيِّراً بَرّاً بأُمِّه.

---

(١) سورة قٓ الآيات من ١ : ٥.

وها هو ذا ـ يقول رضوان الله عليه ـ: رأيتُ جبريل من الدهرِ مرتين، يوم الصورين، (والصوران موضع بالمدينة يقع من البقيع) حين خَرَجَ رسولُ الله إلى بني قُرَيظة ـ مرّ بنا في صورة رجل، فأمرنا بلبس السلاح.

ومرّ بنا جبريل يوم موضع الجنائز حين رجعنا من حنين، مررت وهو يُكَلِّمُ النبيَّ ﷺ، فلم أُسَلِّم.

فقال جبريل: مَنْ هذا يا مُحمَّد؟

قال عليه السلام: حارثةُ بن النعمان.

فقال جبريل: (أَمَا إِنَّه من المئة الصابرة يوم حُنَينٍ الذين تكفَّلَ اللهُ بأرزاقِهِم في الجنة، ولو سَلَّم لَرَدَدْنا عليه)[1].

كانت لحارثة بن النعمان منازلُ قرب منازلِ النبي ﷺ فكانَ كلما تزوَّج رسولُ الله أهلاً تحوَّل له حارثة عن منزل، حتى قال عليه السلام ذات يوم:

«لقد استحييت مِن حارِثَةَ، مما يَتَحوَّلُ لنا عن منازِله»[2].

وأُم هشام هي سليلة رجل من أهل الجنة، فاز بها وتحدّث عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: دخلت الجنَّةَ، فَسَمِعْتُ قِراءَةً.

فقلت: «مَن هذا»؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٣٧٩ ترجمة حارثة ٨١.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٨٨.

قيل: حارِثة؟

فقال النبيُّ ﷺ: «كَذَاكُم البرُّ» وكان بَرّاً بأُمِّه ـ رضوان الله عليه[1] ـ في هذا البيت الكريم نشأت السيدة أُم هشام، وجاء دورها يوم البيعة، بيعة الرضوان وإذا جاء الحديث عن بيعة الرضوان فإننا نجمل الحديث عن هذا الموقف الإيماني العظيم، فقد انقضت ست سنوات منذ هجرة النبي وأصحابه من مكة إلى المدينة في هذه السنوات الست كان المسلمون في جهاد مستمر، بينهم وبين قريش تارة وبينهم وبين اليهود في المدينة تارةً أُخرى.

ولكن الإسلام يزداد قوةً كلما ازدادت المِحن، وما أن انقضى العام الأول من الهجرة حتى عدلت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام وجعل المسلمون وِجهتهم بيت الله الحرام الذي بناه إبراهيم بمكة، والَّذي يجدِّد بناؤه بعد ذلك ومحمد ما يزال في قوة الشباب، وقد رفع إذ ذاك حجره الأسود إلى مكانه من جدار هذا البيت، وذلك قبل أن يرد بخاطره أو بخاطر أحد من الناس ما سيُلقي الله عليه من رسالة.

والمسلمون في هذه السنوات يذوقون ألم الحرمان من أداء الواجب الديني المفروض عليهم. والمهاجرون منهم يذوقون إلى جانب ذلك همّاً واصباً وألماً شديداً: إنَّه ألم النفي وهمَّ

(١) أخرجه أحمد ٦/١٥١، ١٥٢.

الحرمان من وطنهم مكة، ومن أهلهم فيه، وكانت ثقتهم بنصر الله لرسوله ونصرهِ إياهم لا بدّ أنه آتٍ في يوم قريب.

ولما انقضت السنوات الست منذ الهجرة والمسلمون يتحرَّقون شوقاً يريدون زيارة الكعبة ويريدون الحجَّ والعمرة، وبينا هم مجتمعون بالمسجد ذات صباح إذ أنبأهم النبيُّ بما أُلهِم من رؤياه الصادقة، أنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون. فما إن سمعوا هذا النبأ حتى علا بحمد الله صوتهم.

وسرى النبأ نبأ هذه الرؤية إلى سائر أنحاء المدينة في سرعة البرق الخاطف. وما هي إلا لحظات حتى أذِن محمد ﷺ للناس بالحج في شهر ذي القعدة الحرام.

خرج الرسول للحج واستنفر غير المسلمين أيضاً وتقدّم الجمع الغفير على ناقته القصواء، خرج عليه السلام زائراً بيت الله معظِّماً له، فلم يحمل معه سلاحه ولا رحاله أيضاً. وبلغ قريشاً أمر محمد ومَن معه، فامتلأت نفوسهم بالخوف، وأعدّوا من بينهم مئتي فارس حتى يمنعوا محمداً من دخول مكة.

وكانت أُم هشام بنت حارثة بن النعمان، مع جمع من نساء المسلمين اللاتي خرجن للعمرة خرجن يلبّين دعوة رسول الله طاعةً واحتساباً لله عزَّ وجل.

استقصى الرسول ﷺ أخبار قريش فجاءه مَن يقول: قد

سمعت قريش بمسيرك فخرجوا، وقد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذي طوىً يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدَّموها إلى واد إمام عسفان بثمانية أميال يسمى كراع الغميم.

قال محمد ﷺ: «يا ويح قريش! لقد أهلكتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين، وإن يفعلوا قاتلوا وبهم قوة! فما تظن قريش! فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد به هذه السالفة».

أكمل الرسول ﷺ المسير حتى الحديبية فبركت القصواء ناقته عليه السلام، وظن المسلمون أنَّ الناقة قد أصابها جَهدُ المسير فبركت.

فقال عليه السلام: «إنما حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الأرحام إلا أعطيتهم إياها».

ثم دعا الناس إلى النزول.. فقالوا له:

- يا رسول الله، وما بالوادي ماء ننزل عليه.

فأخرج عليه السلام سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً نزل به إلى بئر من الآبار المنثورة في تلك الأنحاء، فقرره في الرمال من

قاع البئر فجـاس الماء، فاطمأن الناسُ ونزلوا.

أرسلت قريش أحد رجالها من الأحابيش ليقف على أمر المسلمين، ويصرف مقصدهم، فلما رآه النبي ﷺ مقبلاً أمر بالهدى من غنم ونوق أن تطلق أمامه، لتكون تحت نظرِهِ دليلاً مادياً على أن هؤلاء الذين تريد قريش حربهم إنَّما جـاءوا حاجّين معظِّمين البيت، ورأى الحليس الهدى سبعين بَدَنَةً تسيل عليه من عُرض الوادي قد تأكلت أوبارها فتأثر لهذا المنظر، وأيقن أن قريش ظالمة ـ فالمسلمون لا يريدون حرباً فعاد إلى قريش وذكر لهم ما رأى. فلما سمعوا حديثه غاظهم وقالوا له: (اجلس، فإنما أنت أعرابي لا علم لك)[1].

فأرسلوا بعده عروة بن مسعود الثقفي. فخرج إلى محمد ﷺ الذي أقنعه الرسول بأنه لا يريد حرباً ـ فرجع إليهم يقول:

يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه..

وقيصر في ملكه..

والنجاشي في ملكِهِ.. وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قطّ مثل محمد في أصحابه، لا يتوضّأ إلا إذا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإنهم لن يُسلموه لشيء أبداً فرَوْا رأيكم».

فقرر الرسـول إرسال سفيـر لقريش ووقـع الاختيار على

---

(١) السيرة الحلبية، سيرة ابن هشام، تاريخ ابن كثير «بيعة الرضوان».

عثمان بن عفان، وانطلق عثمان إلى مكة فأبلغ قريش رسالة الرسول ﷺ.

فقالوا: يا عثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فَطُفْ.

قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله، إنما جئنا لنزور البيت العتيق ونعظِّم حرمته، وقد جئنا بالهدى معنا، فإذا نحرناها رجعنا بسلام.

فرفضت قريش وأقسمت ألّا يدخل محمدٌ مكة عنوةً، وطال الحديث حتى ظن المسلمون وترامى إلى أسماعهم مقتل عثمان، فما كان من المسلمين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ الذي قال: «لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا أصحابه إليه وقد وقف تحت شجرة في هذا الوادي فبايعوه جميعاً على ألّا يفرّوا حتى الموت وكلهم ثابت الإيمان رابط الجأش مؤمن بربه سبحانه وتعالى عزَّ وجل، قوي العزيمة، واثق من نصر الله تعالى.

وتقف أُم هشام بنت المغيرة رضوان الله عليها تبايع بيعة الرضوان شأنها شأن الرجال، وقد نزل فيها وفيهم جميعاً ممّن بايعوا رسول الله تحت الشجرة قول الله سبحانه عزَّ وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿ لَقدْ رَضِيَ الله عَنِ المؤمِنينَ إذ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً.

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخذونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزيزاً حَكِيماً. وَعَدَكم اللهُ مَغانِمَ كثيرَةً تأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً للمؤمِنِينَ وَيَهْدِيكُم صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾[1].

رَحِمَ الله أُم هشام بنت المغيرة ـ زوجة رجل كثيراً ما شاهد جبريل زوجة حارثة بن النعمان الأنصاري، الذي بشّره جبريل عندما كان يأتي متشبهاً بدحية الكلبي وهو من أجمل صحابة الرسول سمعاً وجمالاً بشَّرَهُ بالإسلام، وبأنه أحد رجال الفئة الصابرة.

نضَّر الله قبر أُم هشام المبايعة، المجاهدة الحفّاظة، وأسكنها فسيح جنّاته..

---

(1) سورة الفتح الآيات: ١٨، ١٩، ٢٠

أُم ورقة الأنصارية

«الشـهيدة»

قال تعالى عزَّ وجل:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا أَتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِـٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُـوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١].

وقال عزّ وجل:

﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذٰلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾[٢].

أُم ورقة إمام النساء من المهاجرات ـ الشهيدة القارئة ـ كانت تؤمّ النساء في الصلاة. أيّ شرف أفضل من شـرف جمع القرآن.. إنها أُم ورقة إحدى المشاركات في جمع كتاب الله الكريم الحفّاظة ـ الصوَّامة ـ القوّامة.

---

(١) الآية ١٦٩، ١٧٠ من سورة آل عمران.

(٢) التوبة الآية ٤١.

هل أتاك نبأ أم ورقة الأنصارية؟ . .

إنها من أعلام نساء الأنصار ـ كانت تسمى الشهيدة ـ طلبت الخروج إلى بدر ـ عسى ربها أن يرزقها الشهادة ـ فأنبأها الرسول بأن الشهادة ستأتيها بين يديها وفي دارها . .

كان يقول الرسول ﷺ كلما همّ بزيارتها: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة»، تذكّر عمر بن الخطاب رضي الله عنها قول الرسول ﷺ يوم استشهادها فردّد قائلاً صدق رسول الله حين كان يقول: انطلقوا بنا نزور الشهيدة وكان عمر بن الخطاب ممّن روَوا عنها ـ هل هناك أعظم من هذا الشرف ـ لنُبحِر في سيرة أم ورقة العطرة.

من فواضل نساء عصرها ـ كان بيتها مفتوحاً لزيارات رسول الله ﷺ.

نسبها

هي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية، ويقال لها أم ورقة بنت نوفل فنسبت إلى جدّها الأعلى.

كانت ترطب لسانها بذكر الله دوماً ـ وكان كتاب الله يتحرك في بيتها على لسانها ولكن دون أن تعجل به ـ كان صوتها بالقرآن في الفجر يتردّد في جنبات دارها، يمرّ عمر بن الخطاب

على دارها فيسمع آيات الذكر الحكيم فيقول هذا صوت خالتي أم ورقة.

كانت حفّاظة للقرآن وشاركت في جمعه ـ أذِنَ الرسول ﷺ بأن تؤمّ نساء المهاجرين ـ وجعل مؤذناً يؤذّن لها ـ لقد حضّها الرسول بأشرف ما يختص به مسلم أو مسلمة إنه شرف إمامة المسلمين والمسلمات في الصلاة.

ولما بدأ الجهاد في المدينـة وتكاتفت قـوى الشر على الإسلام والمسلمين أراد الله سبحانه وتعالى أن ينصر عبده ويضرّ جنده ويهزم الأحزاب وحده ـ وكان يوم بدر هو نصره الذي وعد به رسوله ـ ونادى المنادي للخروج يوم بدر وارتجت جنبـات المدينـة ـ وهدرت حـوافر الخيـل على مشـارفهـا ـ واستمتعت سيوف الفرسان بما وعد عباده الصالحين بالنصر.. خرج المهاجرون والأنصار وتسابق الفرسان وترطبت الألسنة بذكر الله ـ وكلٌ منهم يحلم بالفوز بالشهادة في هذ اليوم ـ ولقد أثبتت الأيام حبهم للشهادة ـ فهذا أحدهم حيثما تنفذ الطعنة في ظهره وتخرج من صدره يقول: «فزت وربّ الكعبة» ـ إنه أحد الأنصار[1] المتشوقين للشهادة...

في هذا الزحام الكبير وذاك المشهد الكبير ـ وبينما كان الرسول يُعدّ العدّة للخروج ليدعو ربه ويقول: «اللّهمّ نصرك

---

(١) حرام بن ملحان يوم بئر معونة.

الذي وعدتني» فيستجاب له قبل هذه اللحظات. جاءت أُم ورقة واقتربت من رسول الله ﷺ وقالت في رجاء المؤمنات المجاهدات: (يا رسول الله إيذن لي أن أخرج معكم أُداوي جرحاكم وأُمرّض مرضاكم لعلّ الله يهدي إليَّ الشهادة).

فقال لها رسول الله ﷺ: «إن الله يهديك الشهادة وقرّي في بيتك فإنك شهيدة».

تُرى ما شعور أُم ورقة - إنها تحلم بالشهادة - ولعلّها الآن تسمع قول الله عزّ وجل ولطالما ردّدته فلتسمعه في الجنة - يقول عزَّ وجل لأمثال أُم ورقة الأنصارية وأصحابها ومَن تبعهم بإحسان: ﴿ سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار ﴾[1] الآية.

عادت أُم ورقة وصبرت واحتسبت أجْر العاملات عند الله - فأمّت صاحباتها من مهاجرات مكة المؤمنات القانتات. يؤذن لهنّ في بيتها فتقف وتؤمّهم في الصلاة وبين الفينة والفينة يزورها رسول الله ﷺ في بيتها- ويقول لها بعض الصحابة أتدرين مَن أنت يا أُم ورقة وماذا يقول عنك الرسول ﷺ؟.. فتقول: لا.. بالله عليكم ماذا قال عنّي؟ فيقال لها: قال هيّا بنا إلى بيت الشهيدة ولعلها تردّد في نفسها هامسة هادئة - مرحباً بالموت - مرحباً بالشهادة - حبيب جاء على شوق... يرحمك الله يا سُميّة يا أُم عمّار بن ياسر كنت أول شهيدة في الإسلام..

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٤.

فعسى ما تمنيت أن أنال. . قضى الأمر فأمّ ورقة شهيدة.

كانت كثيرة الحنان فيّاضة بالرحمة على كلّ مَن دخل دارها ـ ولما انشغل الدار بالمهاجرات والأنصاريات اللاتي جئن للصلاة والتبرّك بالصلاة خلف امرأة تقية قارئة حافظة لكتاب الله عزَّ وجل ـ ولانشغالها بالعبادة وشرف الدعوة ومجالس الفقه بينها وبين صاحباتها من السابقات إلى الإسلام.

لذلك جاءت بغلام يقوم على خدمتها وجارية تُعينها على ضرورات الدار التي تسكن فيه ـ ولا نجد من النساء حفّاظة صوّامة قوّامة كأم ورقة ما يجعل بينها وبين أحدٍ من الناس خصومة.

كيف بالقارئة الإمامة الورعة التقيّة تصل بالناس خصومتها إلى أن يفكروا في قتلها قُضي الأمر ـ سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً فإنه يقول له كن فيكون.

وبينما لسانها رطبٌ بذكر الله ـ وقد هدأت الدنيا وسكنت حركتها اقترب منها هذا الغلام الوغد وتلك الجارية القاتلة وغمياها فقتلاها. . وأسلمت الروح لبارئها وفازت وربّ الكعبة بالشهادة ـ وصدق الرسول ﷺ.

وفي صباح اليوم التالي ـ جاء عمر بن الخطاب إلى أصحابه يقول: «ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة»[1].

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٤٨١.

دخل عمر الدار فلم يرَ شيئاً وطال بحثه ونداؤه: يا خالة. . يا خالة. . يا أُم ورقة ولا أحد يستجيب لصدى صوت عمر بن الخطاب في دار أُم ورقة الأنصارية ودار الرجل يبحث وقد أخذته الدهشة فليست هذه عادة أُم ورقة فدارها عامرة بالنساء المصليات. . تُرى ماذا حدث؟ هكذا أصاب عمر القلق.

وبينما هو في بحثه وسعيه هذا إذا هي ملفوفة في قماش من القطيفة في جانب البيت فقال صدق الله ورسوله ثم اتجه إلى المسجد وذكر الخبر إلى جمهرة الصحابة من المهاجرين والأنصار.

وقال عمر بعد ذلك: عليّ بهما ـ فجيء بهما ـ ولما سألهما عمر عن اتهامهما بقتل أُم ورقة أقرّا بفعلتهما الشنعاء ـ التي أثارت في نفوس المسلمين كثيراً من الحزن ـ ولكن كلما تذكروا بشارة الرسول لأُم ورقة الأنصارية ـ استرجعوا وهنّوا أُم ورقة بالشهادة.

وأمر عمر بهما فصلبا فكانا أول مصلوبين في المدينة.

ومن وداع أُم ورقة الأنصارية نذكر قول الله عزَّ وجل:

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين تبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾[1].

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة التوبة.

رضي الله عن أم ورقة وأعدّ لها جنات يجري من تحتها نهر الكوثر.. هنيئاً خلودك في الجنة ـ وانضمامك لصفوة الحور العين..

سلام على أم ورقة في جنة الخلد..

مَهْر أُم سليم بنت ملحان

قال تعالى:

﴿ إِنَّ المُسْلِمينَ وَالمُسْلِماتِ وَالمُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِناتِ وَالقَانِتينَ والقَانِتاتِ والصَّادِقِين والصَّادِقَاتِ والصَّابِرِينَ والصَّابِراتِ والخَاشِعِينَ والخَاشِعَاتِ والمُتَصَدِّقينَ والمُتَصَدِّقات والصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِين فُرُوجَهُمْ والحَافِظَاتِ والذَّاكِرينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ أَعدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرَاً عَظِيماً ﴾[1].

صدق الله العظيم

أُم سليم من فواضل النساء، أعدّ الله لها مغفرةً وأجْراً عظيماً ـ لأنها حفظت دينها وجاهدت وصبرت وخشعت ـ وتصدّقت، كانت صوّامة قوّامة ـ من الذاكرات الله كثيراً أُوتيت من الحكمة خيراً كثيراً فكان صداقها إسلام صحابي جليل من صحابة رسول الله هو أبو طلحة الأنصاري.

يوم أُحُد كانت من المُقاتلات، المُدافعات عن رسول الله،

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٥.

ويوم حُنين كان الخنجر بجوار جنبها أبقت عليه حتى إذا أراد بها أحدُ المشركين سوءً شَهَرَت خنجرها المبارك لتدافع بها عن نفسها وعن المسلمين.

(إن دنا منّي مشرك بقرتُ به بطنه) سمع منها الرسول ﷺ هذه الكلمات فتراءت له أُم سليم في الجنة ـ كأنها تخطو خطوات حول الجنة.

كانت أُغنيتها لابنها أنس بن مالك وهو طفل صغير: قل لا إلّه إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، فأصبح أنس بن مالك خادم النبي ومحدِّث المسلمين فيما بعد.

وكفى فليس عدلاً أن نكتفي بالإطار وإنما نذهب في رحلة سريعة مع أُم سليم بنت ملحان.

نســـبها

أُم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جُندب بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار، الأنصارية الخزرجية.

أُم خادم النبي ﷺ؛ أنس بن مالك.

يقال لها: الرُّميصاء، أو: سهلة، أو أُنيفة..

راوية مشهورة روت عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثاً.

روى عنها ابنها أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس

وعمرو بن عاصم الأنصاري وزيد بن ثابت. وأبو سلمة عبد الرحمن بن عوف[1].

مجاهدة جليلة ذات عقل رصين ورأي سديد، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام، وكانت من النساء اللاتي بايعن رسول الله ﷺ.

محنة الزوج المشرك

مالك بن النضر - زوج أُم سليم كان مشركاً - لم يعلن إسلامه ولم يدخل الإسلام تزوج أم سليم بنت ملحان - وأنجب منها أخلص وأجمل غلام في الدنيا إنَّه أنس بن مالك.

سافر مالك بن النضر إلى تجارته وعاد فوجد أُم سليم قد بايعت رسول الله ﷺ وأسلمت فبادرها قائلاً: أصبوت؟ فقالت: ما صبوت، ولكني آمنتُ!.

وأشاحت بوجهها عنه وانصرفت إلى وليدها أنس بن مالك تلاعبه وتداعبه وجعلت تلقنه أول كلماته في الدنيا فتقول له قل يا أنس:

لا إلّه إلا الله. فيردّد الطفل: لا إلّه إلا الله. فتقول قل يا أنس: أشهد أن محمداً رسول الله، فيقول أشهد أن محمداً رسول الله.

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٢٤.

فيناديها مالك من بعيد قائلاً ـ لا تفسدي عليّ ابني ـ لا تفسدي عليَّ ابني. فتقول: إني لا أُفسده[1].

وكيف تفسده وهي تلقِّنه أعظم كلمة نطق بها بشر على وجه الدنيا ـ هذه هي مفاهيم المشركين تثير في النفـوس حمية الإسلام ـ ولكن الله يمهل ولا يهمل. وسِعَ كل شيء بعلمه سبحانه عزَّ وجل.

انطلق مالك بن النضر في سفر إلى الشام لبعض تجارته فكان سفراً نهائياً طويلاً ـ لقيه عدوٌّ له ـ فقتله فمات الرجل. وجاء الخبر إلى أُم سليم فقالت: لا جرم، لا أُفطِمُ أنساً حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس.

هكذا حدّدت طريقها بعد وفاة زوجها ـ لا تمنع أنس عن الرضاع حتى يترك الثدي بطبعه لأنها أرملة وتستطيع أن تفعل ذلك مع حفيدها من مالك بن النضر والأمر الثاني أنَّها لن تتزوج حتى يدرك أنس ويشتدّ عودُهُ ويصبح واعياً لمفهوم زواج أُمه.

وصبرت أُم سليم وانصرفت لرعاية ابنها والحفاظ على دينها فقد بايعت رسول الله ﷺ ولن تنقض بيعة أو عهداً. ومتى يأتِ الزوج ويكن مناسباً وعلى رضاً من ابنها أنس فلن تمانع.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٠٤، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ج ٨ ص ٤٢٥.

نعم المهر مهر أُم سليم

«ما سمعنا بمهر كان قطُّ أكرم من مهر أُم سليم».

هذه العبارة ترددت في أرجاء المدينة المنورة على ألسنة صحابة رسول الله ﷺ. ما قصة هذا المهر؟ وذلك الـزواج المبارك؟

كان أبو طلحة الأنصاري ما يزال على دين الجاهلية يعبد الأصنام ـ وجاء أُم سليم طالباً منها الزواج فقالت له: لا ينبغي أن أتزوج مشركاً.. فصمت الرجل ـ وأخذه الردّ المفاجىء ـ وعندما رأته على هذه الحال قالت له: يا أبا طلحة ألستَ تعلم أن إلّهك الذي تعبده هو حجر لا يضرّك ولا ينفعك أو خشبة تأتي بها النجار فيُنجرها لك هل يضرّك؟ فقال أبو طلحة: لا، ثم أضافت: هل ينفعك؟ فقال: لا!!!.

فأضافت أُم سليم: أفلا تستحي من عبادتـك هذه فـإن أسلمت فإني لا أُريد منك صداقاً غير إسلامك!!

هكذا حدّدت مهرها، ولكن أبا طلحة أضاف قائلاً الصفراء أم البيضاء تريدين يا أُم سليم ـ يقصد الهدايـا من الحريـر والديباج كأنه لا يزال يفهم قيمة ما تريده أُمُّ سليم ـ فقالت: يا أبا طلحة إني لا أُريد صفراء ولا بيضاء أُريد منك الإسلام. فقال أبو طلحة: فمَن لي بذلك يا أُم سليم[1]؟

---

(١) الحلية لأبي نعيم الأصفهاني ج ٢ ص ٦٠.

فقالت: لك ذلك عند رسول الله ﷺ. . بعدها انطلق أبو طلحة في طرقات المدينة يريد مجلس رسول الله ﷺ.

فوجده جالساً في كوكبة من أصحابه رضوان الله عليهم ـ فلما رآه الرسول ﷺ قال: «جاءكم أبو طلحة غرّة الإسلام بين عينيه».

فأسلم أبو طلحة وأخبر النبي ﷺ بما حدث من أُم سليم.

وعاد إليها قائلاً: أشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ الآن وقد أسلمت يا أُم سليم، أنا على دين الإسلام أشهد أن لا إلّه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله فأجابته وقد انفرجت أساريرها وفاضت نفسها سكينة بما منَّ الله عليها من زوج مسلم وزواج مبارك وقالت وحياء المؤمنات يملأ وجهها خجلاً وحُمرة.

ـ وما مثلَك يا أبا طلحة يرد[1].

ثم التفتت إلى ابنها أنس وقالت: يا بني زوج أبا طلحة.

وقد حققت كلمتها بأن ابنها أنس هو الذي يزوِّجها بنفسه بعد أن كبر وأصبح فتىً يافعاً ـ وكان الزواج المبارك.

عاش الزوجان حياة هانئة صباحها تسبيح بحمد فالق الحبّ والنوى ـ وتمتمات بكتاب الله عزَّ وجل في مطلح الفجر،

---

(١) الحلية لأبي نعيم الأصبهاني ج ٢ ص ٦١.

وقرآن الفجر ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾[1].

ويُختم يومهما بعرق السعي والكسب وحمد الله الذي جاء بالليل بعد النهار ليسكنوا فيه ويقيموا صلاة النوافل ليلاً. . كان دارهما مزاراً لخير البشر الرسول ﷺ. . إنها أسرة إسلامية صالحة يكفي أنهما من صفوة الأنصار أنصار الرسول ﷺ.

بارك الله لكما في ليلتكما

هذا الزواج الذي كان مهرُهُ إسلام الزوج لا بد أن يكون فيه دروس وعِبَر لكل مَن تابع هذه المسيرة العطرة.

أُم سليم بنت ملحان هذه الزوجة التي أسلمت رغم شرك زوجها الأول مالك بن النضر ـ ولقنت ابنها الشهادتين كأول حديث لطفلها وهو ينطق ـ ماذا تنتظر منها مع زوجها أبو طلحة الأنصاري الذي زيّنت وجهه غرّة الإسلام هذا هو الرجل يمتحن في شيء يعتبر زينة الحياة الدنيا ـ كيف تعالج أُم سليم خبر هذا الامتحان الموجع؟ وما قصة هذا الامتحان؟

كان لأبي طلحة ابن من أبنائه أصابه مرض ـ واشتد عليه المرض فمات بينما كان أبو طلحة يقضي صلاته في المسجد ـ فأخذت أُم سليم ابنها الميت وهيأت أمره، وقالت لا تخبروه ـ (تقصد زوجها).

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٨.

ثم جاء أبو طلحة من المسجد وبادرها قائلاً: كيف حال الصبي؟ فأجابته قائلة: بأحسن حال!! فحمد الله وشكره على هذا الذي سمعه منها ثم قامت وهيأت لزوجها عشاءً أحسنت صنعه ـ فأكل وشبع.

ثم قامت إلى ما تقوم إليه النساء لأزواجهنّ ـ فأصاب أبو طلحة من أهله فلما عرفت أنه قضى حاجته بادرته قائلةً يا أبا طلحة أرأيت لو أن أهل بيت أعاروا عاريتهم أهل بيت آخرين فطلبوا عاريتهم ـ ألهم أن يحبسوا عاريتهم؟ فعندما طُلبت منهم شقّ عليهن!!

فقال أبو طلحة: ما أنصفوا.

فأجابته على الفور قائلة: يا أبا طلحة ابنك كان عارية[1] (أمانة) من الله عزَّ وجل وإن الله تعالى عزَّ وجل قد قبضه واستردَهُ..

تنهد أبو طلحة ولسانه يردّد: الحمد لله ـ الحمد لله ـ إنّا لله وإنّا إليه راجعون ونام الرجل وزوجته أُم سليم ليلتهما ـ وفي الصباح غدا على رسول الله ﷺ فقصّ على رسول الله ـ ما كان من أُم سليم بنت ملحان زوجه وأُم ابنه الذي قُبض وكيف كانت بهذه الروح ـ تخفّف عن زوجها، تقدّم له أشهى الطعام وتقرِّب نفسها منه فينال منها حلال الزوج من زوجه ـ وتبدأ هذا الخبر

(١) عارية: أي أمانة مستعارة من آخرين لا يملكها المستعبد.

الشاق على النفس برواية تنبعث من نفس تقية يملؤها الخشوع والامتثال لأمر الله عزَّ وجل فكان الخبر على زوجها برداً وسلاماً وتسليماً لأمر الله عزَّ وجل لم تفزعه، ولم تهتز أمامه فتماسك بالتالي أمامها. . آمنت بقضاء الله وقدره ـ فازداد الزوج خشوعاً وراح يردّد الحمد لله ـ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

سمع الرسول ﷺ القصة فقال لأبي طلحة الأنصاري: «بارك الله لكما في ليلتكما» وكانت البركة. . واتجه إلى السماء يقول: «اللّهمّ بارك لهما في ليلتهما». فحملت وأنجبت أُم سليم عبد الله بن أبي طلحة ـ فكان عالماً تقياً ورعاً ـ أنجب سبع بنين ـ كلهم قد ختم القرآن. . هذه هي البركة ـ جاءت من الله عزَّ وجل وبفضل دعاء طيب طاهر من الرسول ﷺ ـ بارك الله في ليلتهما ـ نعم لقد بارك الله لهما في ليلتهما.

الرسول مع أُسرة أبي طلحة

«فزت وربِّ الكعبة». .

هذه الكلمات يذكرها الرسول ﷺ لحرام بنِ ملحان شقيق أُم سليم الذي قتل يوم بئر معونة وكان حرام بن ملحان فيمن بعث رسول الله ﷺ مع أبي بـراء إلى أهل نجـد ليدعـوهم إلى الإسلام.

وفي يوم بئر معونة ضُرب حرام بن ملحان من ورائه فطلعت

الحربة من صدره رضي الله عنه ـ فعرف أنه سيستشهد الآن وسيفوز بالشهادة فراح يردّد فزت وربّ الكعبة ـ فزت وربّ الكعبة.

لهذا كان الرسول ﷺ يدخل بيت أبي طلحة الأنصاري كثيراً ـ فلما سُئِلَ عليه السلام عن ذلك قال عليه السلام: «إني أرحمها ـ قتل أخوها معي»[١].

وها هو الرسول ﷺ في بيت أُم سليم ونترك ابنها أنس بن مالك يروي إحدى زيارات الرسول لهم في بيت أبي طلحة ـ فيقول:

(إن النبي ﷺ، كان يزور أُم سليم، فتتحفه بالشيء تصنعه له، وأخ لي أصغر منّي يكنى أبا عمير، فزارنا يوماً، فقال عليه السلام باسماً:

«ما لي أرى أبا عُمير خائر النفس»؟

فقالت أُم سليم: ماتت عصفورة له كان يلعب بها.

فجعل النبي ﷺ يمسح رأس الطفل ويقول: «يا أبا عمير ما فعل النُّغيرَ؟»، والنغير هو صغير العصفور أو فرخ العصفور. . وراح يداعب الطفل ﷺ ويردّد «يا أبا عمير ـ ما فعل النغير»).

---

(١) إسناده صحيح ـ أخرجه ابن سعد ج ٨ ص ٤٢٨ ـ والبخاري ومسلم.

الرسول مع أُسرة ابن طلحة وزوجه أُم سليم

وماذا عن أنس بن مالك ابنها.

ها هو ذا أنس أيضاً يقول: إن النبي ﷺ دخل على أُم سليم ـ فأتته بسمن وتمر. فقال: «إني صائم يا أُم سليم» ـ ثم قام فصلى، ودعا لأُم سليم ولأهل بيتها.

فبادرته قائلة: يا رسول الله إن لي خُوَيْصّةً (أي لها طلب خاص عنده) فقال عليه السلام: «وما هي»؟ قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به»[1].

هنيئاً لك أنس بن مالك خدمتك رسول الله ﷺ، ودعواته المباركة لك.

وكانت أُم سليم رضوان الله عليها تبعث بين الحين والآخر بمكتل من الرُّطَب يحمله إليه أنس بن مالك ـ فيأكل منه صلوات الله وسلامه عليه.

هكذا كان هذا البيت المبارك مزاراً للرسول ﷺ لما عُرِفَ عن أهله بالتقوى والصلاح وصدق إسلامه ـ ولم يكن يقتصر هذا الصدق على البيت فقط ولكن في الغزوات والحروب أيضاً وفي الجهاد.

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٢٩.

فكان زوجها بطلاً من أبطال المسلمين وهي إحدى النساء اللاتي شاركن بالسلاح للدفاع عن الإسلام والمسلمين.

فها هي ذي أم سليم يوم أُحُد تسقي العطشى وتداوي الجرحى. ولنترك أنس ابنها يروي مشهداً رآه بنفسه يوم أُحُد كانت أمه أم سليم بطلته.

قال أنس بن مالك: لما كان يوم أُحُد رأيت عائشة وأم سليم وأنهما مشمِّرتان أرى خدم سوقهما ينقلان القَرَب على متونهما ثم تفرغانها في أفواه القوم، وترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغان في أفواه القوم.

وفي يوم حنين كان لأم سليم حضور لا يغيب على الناس لقد أبلت بلاءً حسناً فحزمت خنجراً على وسطها وهي حامل يومئذ بعبد الله بن أبي طلحة. فقال أبو طلحة: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر.

فقالت أم سليم: يا رسول الله أتخذ ذلك الخنجر إن دنا منّي أحد من المشركين بقرت به بطنه، وأقتل هؤلاء الذين يفرّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل.

فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم سليم إنَّ الله قد كفى وأحسن».

أليست الجنة هي المأوى لصاحبة السيرة العطرة؟ لسنا في مجال تمن لها ولكن بشَّرتها رؤيا للرسول ﷺ بذلك ـ فقد قال

الرسول ﷺ: «رأيتني دخلتُ الجنة فسمعه فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة «حركة» فقلت مَن هذا؟ فقال: هذا بلال»[1].

رحم الله أُم سليم فازت بالجنة ـ هنيئاً لها مع الشقيق الفائز يوم بئر معونة مع شقيقها حرامٍ بن ملحان ـ الذي ردّد قائلاً فزت وربّ الكعبة وها هي ذي أُم سليم قد فازت وربّ الكعبة بالجنة، رضوان الله عليها.

---

(١) رواه مسلم ٢٤٥٧ والبخاري ـ وهو من طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٣٠.

الربيع بنت النضر الأنصارية

قال تعالى:

﴿ الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبُهُمْ والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزَقناهم ينفقون ﴾[1].

سيرة صابرة جليلة ـ تسأل عن موضع ابنها الشهيد بعد استشهاده بين يدي رسول الله ﷺ عمّه أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ.

قالت عن ابنها حارثة بن سُراقة: إن يكن في الجنة صبرت واحتسبت وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء!!

تُرى ماذا قال لها الرسول ﷺ ليُجيب عن سؤالها هذا؟ تذكِّرنا أُم حارثة بقول الله عزَّ وجل:

﴿ والموفونَ بعهدهم إذا عاهدوا والصابرينَ في البأساء والضَّرَّاءِ وَحِينَ البأسِ أُولئِكَ الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[2].

---

(١) الحج الآية ٣٥.

(٢) البقرة الآية ١٧٧.

فعندما تختار بين الصبر والاحتساب وبين البكاء الشديد شرطها في الاختيار الجنة أو غيرها فإنها ستصبر من أجلِ الثواب ونَيْل الجنةِ ـ وستبكي إذا كان غير ذلك وصبرها من أجل الجنة حبّاً في طاعة الله..

بينما بكاؤها إن كان غير ذلك حزناً على مصير ابنها وكرهاً في معصية الله. إنَّه خيار التقوى ـ نابع من إيمان قويّ عَمَرَ قلب الربيع بنت النضر الأنصارية لتضرب المثل للنساء جميعاً عندما يصبن في أعزّ ما يملكن وهو الابن ولتكون القدوة للنساء الصابرات العابدات الذاكرات الله كثيراً.

نســـبها

الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية ـ تكنى أم حارثة عمّها أنس بن مالك خادم النبي ﷺ ـ من بني عديّ بن النجار.

هي أُم صابرة محتسبة ـ شاركت بقلبها وبفلذة كبدها في رفع راية الإسلام في السنة الثانية من الهجرة كانت المناوشات بين المسلمين قد أخذت ذروتها. وسمع رسول الله بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عِير عظيمة لقريش فيها أموال وتجارة فدعا المسلمين إليها، وقال عليه السلام: «هذه عِير لقُريش فيها أموالهم، فأخرجوا إليها، فانتدب الناس»[1].

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٦٧.

وكان أبو سفيان بن حرب، حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار، ويسأل مَن لقي من الركبانِ تخوفاً على أموال قريش، حتى أصاب خبراً من بعض الناس؛ إنَّ محمداً قد استنفر أصحابه له ولعيره ـ فحذر لذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغِفاري، وبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أنّ محمداً قد عَرَضَ له في أصحابه ـ ووصل ضمضم إلى مكة وأبلغهم الخبر ـ فاستجمعوا أمرهم وجهزوا أنفسهم وخرجوا في سبعمائة فارس ويزيد.

وخرجت من المدينة رايتان بقيادة الرسول ﷺ، راية المهاجرين يحملها علي بن أبي طالب وأُخرى مع الأنصار حملها سعد بن معاذ رضي الله عنه.

والتقى الجيشان عند بئر بدر بعد مبارزة نجح فيها المسلمين بقيادة حمزة، وعلي، وعبيدة، وتلاقت السيوف، وعالج أبطال المسلمين بطش أشراف مكة، الذين صدَّقوا جهلهم وعصبيتهم وهتف الرسول قائلاً: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثنايا الغبار ـ ثم توجّه عليه السلام بحديثه إلى المسلمين يحرِّضهم على القتال فقال:

«والذي نفس محمدٍ بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فَيُقْتَل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مُدْبرٍ إلا أدخله الله الجنة»، فسمعه بطل من الأبطال[١] وفي يده تمرات فألقاها وقال بخ، بخٍ فما بيني وبين

(١) هو عمير بن الحمام.

أن أدخل إلا أن يقتلني هؤلاء، وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

في كل هذه المعارك كانت السيدة الربيع بنت النضر تقدم ابنها فداءً للإسلام ودحراً للشرك والمشـركين وانطلق الفتى حارثة بن سراقة يضرب بسيفه ويرمي برمحه ويكبّر ويقول لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ﷺ ـ إلى أن استُشهد بين يدي رسول الله ﷺ. ولا بدّ أن تذرف الأُم دمعة، ولا بدّ لقلب المؤمنة أن يصبر ويحتسب وكان الصراع بين الصبر والدموع شديداً فهذه أُم لا تستطيع أن تسمو فوق ما وُضِعَ فيها مما صنع الخالق من عاطفة جيّاشة، وحبٌّ للضنى يأخذ بلباب قلبها فتئنّ أنيناً صامتاً وتتماسك ـ وتنهار الدموع وتغرق في بحـرها ولكن الشفـاه المؤمنة ترتجف وتسترجع وتقول: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون).

وتتماسك الأيادي ـ وتتماسك النفوس ـ وتنتاب أُم الشهيد نوبةُ العاطفة فتملكها وتمسك بزمامهـا وتذهب إلى رسـول الله ﷺ وفي حلقها غُصّة وتستعين بالله وتستجمع قواها وتقول: يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان من أهل الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء[١].

وسوف ترى ما أصنع يا حبيب الله!! عجباً لهذا النوع من التفكير والإيمان، إن الربيع مثل تقدّمه لكل مسلمة فهل في ذلك الحديث أروع مما كان وأجمل مما فيه من معانٍ لعزم النساء المؤمنات الصابرات..

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٣٠١.

أجابها رسول الله ﷺ قائلاً: «يا أُم حارثة إنها جنان كثيرة وإن حارثة منها في الفردوس الأعلى»[1].

هنيئاً لحارثة بن سُراقة الفردوس الأعلى ـ وهنيئاً للربيع بنت النضر صبرها واحتسابها لعل الله يجمعهما في الجنة وما في ذلك من ريب نرتئيه من حديث رسول الله ـ نحسبها امرأة مسلمة وأُمّاً مسلمة وأُختاً مؤمنة على تُقى، فسيرتها التي نعيشها من صُنع تقواها كرّم الله مثواها وأنزلها في رحاب جنات الفردوس الأعلى.

أَتُكْسَرُ ثنيةُ الربيع؟

اختلفت أُم الربيع مع امرأة وتشابكا فكُسرت ثنية امرأة فاختصم الناس فيها وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ ـ فقال رسول الله ﷺ القصاص ـ فوقف أخوها أنس بن النضر فقال يا رسول الله: أتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحقِّ لا تكسر ثنيتها..

فعفا القوم بعد أن كانوا امتنعوا وأصرّوا على القصاص..

فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله مَنْ لو أَقْسَمَ على الله لأبرّه»[2].

---

(١) الاستيعاب ج ٤ ص ٣٠٠.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ لابن الأثير ج ٥ ص ٤٥٢.

لقد أبرّ الله أنس بن النضر من أجل هذه السيدة الطيبة التي استشهد ابنها وكانَ من شهداء بدر ـ واحتسبت عند الله فتاها البطل. رحم الله الربيع بنت النضر رحمة واسعة كانت مثلاً للصابرات من نساء الأنصار ـ وكانت من المبايعات وصواحب العهد على الطاعة لله عزَّ وجل ولرسوله الكريم.

رحم الله بنت النضر تعلمنا درس كبح جماح العاطفة عندما تفيض أمام المحن فكان شغلها الشاغل الأجر والثواب من الله ـ وخوفها من معصيته عزَّ وجل شأنها شأن كل نساء الأنصار اللاتي حفظن دينهنّ وقدّمن من أجله النفيس والغالي فيما ملكن من أبناء وأموال.

اللّهمّ ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، ونساء الأنصار، وسلام على الربيع أم الشهيد مع الصدِّيقين والشهداء..

أنت من الأولين
أُم حرام بنت ملحان

قال تعالى:

﴿ إنّ الله عندَه عِلم الساعَة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرضٍ تموتُ إنَّ الله عَليم خَبيرٌ ﴾.

أُم حرام سيدة فاضلة ـ حميدة البَرِّ ـ شهيدة البحر ـ توّاقةٌ إلى مشاهدة الجنة، أعطت درساً من البذل والإيثار ـ فتمنت أن تكون من الغزاة الأولين، استأثرت بخدمة رسول الله، والتشرّف بخدمته وخدمة جنده ورجاله.

كان بيتها مفتوحاً في قباء، فدخله رسول الله حبّاً في صلاح أهله وتقواهم فالزوج نعم رجال الإسلام عبادة بن الصامت شيخ المبايعين في العقبة ونقيب من نقباء الأنصار الاثني عشر، من رجال بدر المرموقين. وأفاضل المدينة ـ السابقين إلى الإسلام والذي قال عن لقائه الأول مع رسول الله في إحدى شِعَب مكة وهي العقبة الأولى قال: «كنّا أحد عشر رجلاً في العقبة الأولى

فبايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء قبل أن يفرض علينا الحرب، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني، ولا نأتي ببهتان نفدّيه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نقتل أولادنا، ولا نعصيه في معروف»[1].

هذا هو رب بيت أُم حرام بنت ملحان ظل جندياً من جنود الإسلام حتى ركب البحر ليفتح البلاد ويغزو في سبيل الله حتى مدحه عمر بن الخطاب قائلاً (قبَّح الله أرضاً ليس فيها أمثالك - وشارك في فتح مصر مع عمرو بن العاص وكان أحد قادة أربعة جيوش دخلت مصر في ذلك الوقت.

هذا هو ربّ البيت

أما ربّة البيت فهي الزوجة والحبيبة إلى قلب عبادة أُم حرام بنت ملحان خالة أنس بن مالك وأُخت أُم سليم بنت ملحان أُم أنس.

إنها ذريّة طيبة بعضها من بعض. إنها شجرة طيبة مباركة تؤتى أُكُلها كل حين بإذن الله ولنتعرّف على أُم حرام.

نسبها

أُم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار زوج عبادة بن الصامت.

(١) حياة الصحابة ج ١ ص ٢٣٥ وأخرجه الشيخان.

كان لها نصيب في البيعة كما كان للنساء نصيب أيضاً فقد بايعت رسول الله ﷺ على الإسلام وعلى ألّا تشرك بالله ولا تأتـي ببهتان أبداً.

فحسنت بيعتها وأصبح القرآن يتردد في جنبات دارها في قباء.

كانت سيدة صوّامة قوّامة تتميز بالتقوى ـ لذلك كان بيتها مزاراً لرسول الله ﷺ. وفي إحدى زياراته صلوات الله وسلامه عليه بشّرها ببشرى عاشت أكثر من عشرين عاماً تنتظر تحقيقها وقد تحققت ـ كانت الرؤيا دعاء وبشرى ـ دعـاء من رسول الله ﷺ كي تكون أُم حرام شاهدة على يوم سيأتي وسيكون فيه المسلمون غزاة كالملوك على الأُسرة ـ لقد أَخَذَ تصوير المشهد من رسول الله بنفسها تمنّت أن تكون بين هؤلاء الذين يركبون البحر غزاة كالملوك على الأُسرة ـ فدعا لها الرسول وبشّرها وكانت نعمَ البشرى ـ بشرى أُم حرام من رسول الله. لكن ما قصة هذه البشرى؟

البشـــرى

جاء الرسول ﷺ إلى دار عبادة بن الصامت واستأذن فأذن له أهل الدار كعادتهم مرحِّبين بـأن يزورهم أحب الخلق إلى خـالقهم ـ سعداء بـأن ينالـوا هذا الشـرف العظيم ـ وخـطا الرسول ﷺ خطوات مباركة حيًّا فيها ربّة البيت أُم حرام بنت

ملحان وما كان لسيدة فاضلة كهذه أن تترك رسول الله دون أن تقدّم له أحسن ما تصنع نساء الأنصار من الطعام، فامتدت اليد المباركة إلى هذا الطعام بينما تسابيح بحمد الله وشكره على هذه النِّعَم تسبق الأيادي الممتدة إلى الطعام.. وفرغ الرسول ﷺ من طعامه ـ وراح في غفوة من النوم.. بينما انصرفت أُم حرام تُعيد آنية الطعام إلى موضعها وتفرغ ما تبقى فيها لكي تتركها نظيفة لطعام جديد يقدّم لزوجها عبادة بن الصامت.

وعند عودتها من داخل الدار وجدت رسول الله يستيقظ من نومه ضاحكاً فأخذتها الدهشة ومالت إلى سؤال رسول الله ﷺ عمّا يضحكه، فقالت: وما يُضحكك يا رسول الله؟!

فقال عليه السلام: «ناس من أُمتي عرضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثبج رثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة الخضر».

فقالت أُم حرام: يا رسول الله ادْع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها رسول الله ﷺ ثم عاد إلى غفوته نائماً كما كان ـ وما هي إلا لحظات قليلة حتى جاءت أُم حرام فإذا بالرسول ﷺ يستيقظ ضاحكاً كما حدث أول مرة فتساءلت أُم حرام: وما يُضحِك يا رسول الله؟

فقال عليه السلام مكرراً: «ناس من أُمتي عُرضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله». فقالت أُم حرام في إلحاح أيضاً: ادع لي

يا رسول الله أن أكون منهم. فنظر إليها وابتسامة تشرق من وجهه الكريم وقال: «أنت من الأولين» فما كان من أُم حرام إلا أن تترقب هذا اليوم، بعد أن فاضت نفسها بالرضا ودق قلبها بالفرح والسرور.

وجاء العام العاشر من الهجرة ـ وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولما عمّ الحزن نفوس المسلمين تذكروا قول الله عزَّ وجل:

﴿ وَمَا مُحمدٌ إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ أفئِنْ مَاتَ أو قُتِلَ انقلبتم عَلَى أَعقابِكم ومَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ الله شَيئاً وسَيَجْزي الله الشاكرين ﴾[1].

وصاح فيهم أبو بكر قائلاً: (أيها المسلمون مَن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومَن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت).

احتسبت أُم حرام وزوجها رسول الله عند ربه راضياً مرضياً وانطلقوا لمبايعة أبي بكر الصديق وكانت سنوات أبي بكر وحروب الردّة وبدء بسط المسلمين على الجزيرة العربية كلها، وجاء عمر بن الخطاب فكانت أعظم الفتوحات، فكانت معارك القادسية ورأس الجسر والنهروان واليرموك وغيرها

---

(١) آل عمران آية ١٤٤.

وعبـر المسلمون حـدود الجزيـرة وعيونهم على كـل أنحاء العالم يريدون أن يرفعوا كلمة لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

وجاء عثمان واستمرت الفتوحات وبعد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وفي عهد معاوية بن أبي سفيان ـ كان المسلمون أصحاب طموحات كثيرة فبنى معاوية أسطولاً ضخماً وفكر في غزو قبرص ولا يتم ذلك إلا بركوب البحر ـ فانطلق معاوية في جيش قوي تحمله عشرات السفن الشراعية وفرسان المسلمين يحلمون بنشر الإسلام في كل بقعة من بقاع الأرض وعلى إحدى سفن معاوية كانت تجلس أم حرام ومعها فاخته زوجة معاوية وقد جاءتها أطياف وذكريات وتذكرت هذا اليوم من عشرين عاماً عندما استيقظ الرسول ضاحكاً وقال: رأيت ناساً من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون البحر. . . إلى آخر الحديث.

وهمست أم حرام قائلة وهي تنظر للأمواج التي تداعب سفن المسلمين بتسابيح لا يسمعها أحد ولكن يدركها كل المسلمين ـ راحت تهمس: صلوات الله وسلامه عليك يا حبيب الله ـ وكادت الدموع تملأ عيني السيدة أم حرام حتى نادى منادٍ على إحدى السفن يا مسلمون: الصلاة الصلاة حان وقت صلاة المغرب فقامت وصلّت مـع نساء المسلمين. . ومكثت في مكانها حيث يحب الزوج والفارس عبادة بن الصامت ويجلس

إليها وتقول له: تُرى إلى أين نحن يا عبادة؟ فيقول لها: إلى قبرص حيث يريد معاوية ونحن معه ننشر الإسلام في بقاع الأرض.. فحدّثته بذكرياتها مع رسول الله ـ وها هي قد تحققت فقال عبادة بن الصامت:

صدق رسول الله ﷺ، فقد كانت رؤياه وحياً من الله عزّ وجل وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿علّمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى﴾[1] وما كاد الصبح يتنفس ـ حتى ظهرت بشائر أرض قبرص ـ فهلّل المسلمون وكبّروا، وأخذوا نصيبهم من قرآن الفجر ـ إن قرآن الفجر كان مشهوداً وجلس عبادة بن الصامت هناك قريباً من زوجته وقد اهتزّت جوانحه بآيات الله الكريم بينما أم حرام تنظر إلى كل شيء حولها كأنما هي نظرات الوداع الأخيرة ـ وعلت الشمس في الأفق واقترب الأسطول الإسلامي من الساحل وبدأت طلائع الفرسان تندفع إلى الشاطىء لعمل ما يسمى بلغة العصر (رأس جسر) على مشارف هذه الجزيرة ـ ونزلت أم حرام مع نساء المسلمين اللاتي شاركن في الغزو وراحت تقصّ الرؤيا على صاحباتها وتصلي وتسلّم على رسول الله وكانت قد طعنت في السن فجاؤوها ببغلة تركبها لأنها لا تقوى على المسير.

وبينما هي تهمُّ بركوبها حتى هاجت البغلة وضربتها بقدميها

---

(١) سورة النجم الآية ٥ ـ ٦.

وكانت تقف على صخرة عالية لتركب البغلة فسقطت على عنقها وأُصيبت السيدة الجليلة ـ وهرول المسلمون يستطلعون أمر أُم حرام وجاء عبادة بن الصامت ليرى زوجته فأسند رأسها بيده وتذكّر قول رسول الله ﷺ لها: «أنتِ من الأولين نعم أنت من الأولين».

وساءت حالها ـ واسترجعت وقالت (إنا لله وإنّا إليه راجعون) وخرجت روحها الطاهرة صاعدة إلى السماء ـ راضية مرضية ـ إلى جنة الخلد واعدَ عبادة بن الصامت ومَن معه قبرها في قبرص ـ ودُفنت السيدة الصالحة هناك من قبرص ـ تُرى أين نحن من مدينة رسول الله ومن قبرص إنه حلم الأقدار ـ ما كان يخطر ببال مسلم أن تموت أُم حرام خارج المدينة وفي جزيرة بعيدة وسط البحر ـ إنها جزيرة قبرص وما يزال قبرها هناك يُعرف بقبر المرأة الصالحة.

ولعلّنا في هذا المقام نردّد قول الله عزّ وجل:

﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت ﴾[1].

صدق الله العظيم ورحم الله السيدة الفاضلة أُم حرام بنت ملحان إحدى نساء الأنصار اللاتي عاصرن رسول الله ورويَنَ عنه شأنها شأن أُختها أُم سليم وابن اختها أنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) سورة لقمان الآية ٣٤.

رفيدة الأنصارية ـ الممرّضة

بايع الرجال رسول الله ﷺ على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف، فإن وفوا فلهم الجنة، وإن غشوا من ذلك شيئاً فأخذتموه تجدوه في الدنيا، فهو كفّارة لهم، وإن ستروا عليه إلى يوم القيامة فأمرهم إلى الله عزَّ وجل، إن شاءَ عذّب وإن شاء غفر.

هذه هي البيعة التي تمّت بين الأنصار والرسول ـ وهي البيعة الأولى كما جاءت على لسان عبادة بن الصامت أحد النقباء والإثني عشر.

أمّا النساء فقد بايعن رسول الله ﷺ أيضاً ـ ولنترك سلمى بنت قيس البخارية إحدى خالات النبي ﷺ ـ لأنها كانت إحدى نساء بني عديّ بن النجار.

قالت سلمى: جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار، فشرط علينا أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا

نزني، ولا نقتل، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا.. ولا نعصيه في معروف.

قال عليه السلام: «ولا تغششن أزواجُكنّ».

قالت فبايعناه ثم انصرفنا، فقلت لامرأةٍ منهنّ ارجعي فَسَلي رسول الله ﷺ: ما حرّم علينا من مال أزواجنا.

فعادت فسألته...

فقال عليه السلام: «تأخذ ماله فتحابي به غيره»[1].

كانت هذه بيعة النساء إذن: ماذا فعلت النساء؟.. وماذا فعلت السيدة رفيدة الأنصارية حتى توفّي بالعهد والبيعة ـ فالبيعة عهد على الطاعة. والوفاء بالعهد واجب لأن العهد كان مسؤولاً.

السيدة رفيدة الأنصارية أسلمت فيمن أسلم بمسجد رسول الله ﷺ وبايعت مع النساء اللاتي بايعن رسول الله ﷺ، احتسبت بنفسها على خدمة مَن كانت به صنيعة من المسلمين، فتداوي الجرحى والمرضى من رجال المسلمين ـ وهل هناك أشرف من مهنة ملائكة الرحمة اللاتي يأتين للناس في لحظة ضعف سواء من مرض أو من جرح أصيب به مسلم دفاعاً عن دينه فيكون وسام على صدره أنه أصيب في سبيل الدفاع عن

(١) الحلية لأبي نعيم الأصفهاني ج ٢ ص ٧٧.

الإسلام ـ وتكون رفيدة نبع فيّاض من الرحمة ـ ونهر مسترسل من الحنان ـ تردُّ أنين المرضى إلى سكينة وتماثل للشفاء بأمر الله عزّ وجل.

ذكرها بعد المؤرخون برفيدة الأسلمية ـ كان يوم الخندق هو يومها المشهورة جاء اسمها على لسان الرسول ﷺ.

ولكن ماذا عن يوم الخندق؟ لقد ذكر القرآن ما حدث في هذا اليوم تفصيلاً، يقول عزَّ وجل:

﴿ يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لَم تَرَوها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾[١].

وقال عزَّ وجل:

﴿ وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾[٢].

وفي غزوة الخندق تكاتف اليهود وبعض القبائل مع قريش وخرجت الأحزاب بجيوشها تحت قيادة أبي سفيان بن حرب ـ وزحفت الجيوش إلى المدينة ـ وسمع الرسول ﷺ بما عزم عليه الأحزاب ـ فجمع أصحابه على المشورة، ليشاورهم في

(١) الأحزاب الآية ٩.

(٢) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

الأمر ـ وكلٌّ منهم أدلى بدلوّه فكان ممّن أشار على الرسول سليمان الفارسي الذي أشار عليه بحفر خندق حول المدينة من جهة الشمال ـ لأن باقي جهاتها كانت محصنةً بالنخيل والمنازل، واتُّفق على وضع النساء والأولاد في الحصون ويكون الخندق فاصلاً بين المسلمين والمشركين ـ وتكاتفت الأيدي والسواعد المباركة على حفر الخندق وتسابق المؤمنون وتنافسوا في العمل حتى فرغوا من العمل ـ وجاءت جيوش الأحزاب في عشرةِ آلف مقاتل من قريش وحلفائها غطفان وبني كنانة وأهل تهامة ـ واشتد الحصار على المدينة ـ وقامت مناوشات هنا وهناك ـ وكانت رفيدة قد نصبت خيمتها بالقرب من الخندق في مسجد الرسول ﷺ وأُصيب سعد بن معاذ فقال الرسول ﷺ: «اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب».

وعكفت رفيدة على تمريض سيد من سادات الأوس ـ ونقيب من نقباء العقبة الثانية الإثني عشر ـ وتحتسب بنفسها على خدمة النقيب سعد بن معاذ ويأتي المساء فيجيء الرسول ﷺ ويدخل خيمة رفيدة محيِّياً بتحية الإسلام ويقول: كيف أمسيت؟ ـ بينما تقف رفيدة تؤدي دورها في صمت وتؤثر على نفسها أن يمدحها أحد على هذا العمل.

وإذا أصبح الرسول مرّ بخيمة رفيدة قائلاً: «كيف أصبحت يا سعد» فيقول: بخير يا رسول بخير والحمد لله. هكذا أدّت

السيدة رفيدة دورها في صمت وقد ألقينا عليها في هذه السطور ضوءاً خافتاً ـ لأنها أرادت أن تتوارى خلف ظلال خيمتها تؤدي عملها في صمت عجيب.

وكلُّ ما تتمناه رفيدة أن يستعيد مريضهـا بطل الإسـلام سعد بن معاذ صحته. وكم هي سعيدة بتكرار زيارة الرسول كل صبح ومساء تسمع صوته العذب يقول لسعد: كيف أمسيت؟ كيف أصبحت يا سعد؟

ويجيب سعد: بخير يا رسول الله..

سنصمت عن الحديث عن رفيدة لأنها اكتفت بهذا الحدث من كتب السِيَر المختلفة ولم ترغب في أحداث طويلة ـ إلا هذا العمل الإنساني العظيم التي شاركت به ولو بقليل ـ وسُجل به اسمها في سجل الخالدات من نساء الإسلام إنها واحدة من نساء الأنصار ـ الذين وصفهم الرسول ـ بأنهم عيبته وموطن سرهِ ونصره.. يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. رحم الله رفيدة ـ وطيّب الله ثراها ـ وجزاها خيراً عمّا فعلت في جرحى ومرضى الصحابة الكرام.. وأهل المدينة من مهاجرين وأنصار..

حوّاء بنت يزيد الأنصارية

(سلام عليكم بما صبرتم فنِعمَ عقبى الدار)..

هل أتاك نبأ حوّاء بنت يزيد الأنصارية.

أسلمت وكتمت إسلامها عن زوجها المشرك..

تذكرنا قول آسية زوجة فرعون: ﴿قالت رَبِّ ابنِ لي عِندَكَ بَيْتاً في الجَنَّةِ ونجِّني من فرعون وعمله ونجِّني من القوم الظالمين﴾[1].

إنَّ إيذاء النفس قد يكون صعباً في لحظة من اللحظات من قتلها على صاحبها. وحوّاء بنت يزيد كان إسلامها سبَّاقاً ـ فبسبب إسلامها المبكر كان عَبَثُ الزوج المشرك بها وبإسلامها ـ كانت تسجد في خشوع إلى ربها عزَّ وجل فيأتيها مَن يقلبها على رأسها ويسخر من دينها.. لكِ الله يا حوّاء فيما لقيت من إيذاء النفس ـ هذا ما فعلتيه جهاد للنفس وعتب على

(١) سورة التحريم الآية رقم ١١.

الزوج يترك في الحلق غُصة - والنفس غور الجراح - وصَبرتِ وجزاء صبرك الإسلام، إنك من رعيل السابقات الأوليات إلى الإسلام هل للنفس سكينة أطيب من إحساس بطاعة الله وسط هذا الجو المفعم بالآلام؟ إن نفس قيس بن الحطيم لأمّارة بالسوء - بينما نفس زوجته المسلمة تعالج الأذى بالصبر، وتعالج الجهل بالنظر إلى السماء تطلب العون وجاء العون - فأخذت مكانها في مقعد صدق عند مليك مقتدر - لماذا يا تُرى؟ لأنها من المتقين. . هذا هو الإطار ولكن إلى الصورة كاملة.

مَن هي حوّاء؟ إنها من بني عبد الأشهل منهم النقباء يوم العقبة - سعد بن معاذ وغيرهم من ديار بني عبد الأشهل - خالها سعد بن معاذ النقيب فهي ابنة أخته عقرب بنت معاذ.

وهي: حواء بنت يزيد بن سنان بن كرز بن عوراء بن عبد الأشهل - تعدُّ من خيّار المسلمات كانت محنتها في ذلك الزوج العنيد - كان شاعراً مغموراً - وقد صدق الله العظيم في قوله عن الشعراء - شعراء الجاهلية الذين شغلوا الناس بترّهات وأباطيل من المدح والهجاء والغزل لا يُسْتفاد منها أبداً - يقول عزَّ وجل:

﴿ والشعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يهيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يفعلون ﴾[1].

---

(١) الآية ٢٢٤ إلى ٢٢٦ من سورة الشعراء.

ولقد حدّد كتاب الله الكريم مَن هم الشعراء المقصودون بهذه الآيات المحكمات واستثنى منهم الصالحين ـ فها هو حسان بن ثابت شاعر الرسول وعبد الله بن رواحة الذي صدح وهو مُقبل عن الشهادة:

يـا نفس إلا تقتلي تمـوتي هذا حمام الموت قد صليت
ومـا تمنيت فقـد أعـطيت إنْ تفعلي فِعلَهمـا هُـديت

ولا تنسى كلماته أيضاً التي وردت في عمرة القضاء عندما كان يعدو بها خَلْفَ الركب وهي من شعر أبي (عامر)[1].

اللَّهمّ لـولا الله ما اهتـدينـا ولا تصـدقنـا ولا صلّينـا
فـاغفر نـداءً لك مـا أبقينـا وألـقيـن سكـينـة عـلينـا
إن الـذين قـد بغـوا علينـا إذا أرادوا فـتـنـةً أبـيـنـا

وكما سبق أن ذكرنا فإن القرآن استثنى من الشعراء السابق وصفهم مَن تنطبق عليهم شروطه فقال عزَّ وجل: ﴿ إلاَّ الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بَعْدِ ما ظُلِموا وسيعلَمِ الذين ظلَموا أيَّ منقلب ينقلبون ﴾[2] صدق الله العظيم.

---

(١) أحد الصحابة المسلمين في ذلك الوقت.

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٣.

كان الرسول ﷺ ما زال بمكة ولم يهاجر إلى المدينة وكان اللقاء الأول له بالأنصار عابراً حيث كانوا عدة أفراد قلائل وعدوه عليه السلام باللقاء في العام القادم عند العقبة الأولى فجاؤوا وكان عددهم اثني عشر رجلاً بينهم رجال من الأنصار؛ وجاء مصعب بن عمير سفيراً للرسول في المدينة ـ فكان إسلام سيد من سادات بني عبد الأشهل وهو سعد بن معاذ خال السيدة حواء بنت يزيد فتساءلت عن السفير الجديد القادم إلى المدينة.

ودخل الإيمان قلبها عندما تناقلت إليها كلمات الله التي يقرؤها الرجل القادم من مكة وسمعت عن النبي العربي صلوات الله وسلامه عليه، وما يُحاك ضده من مؤامرات في مكة فأسلمت حوّاء وحسُنَ إسلامها.

وجاء قيس بن الخطيم فوجدها ساجدة لله سبحانه عزّ وجل سجود المسلمين الخاشعين فقال تُرى هل إسلام هذه المرأة دون علمي؟

وهل يُستأذن للإيمان حتى يدخل القلب ـ لم يعرف الرجل قيمة هذه المعاني السامية والمشاعر الروحانية، فراح يصدّها عن الإسلام، وهي تقول في نفسها كم كنت أودُّ أن تلتقي أفكارنا أيها الشاعر المغرور ـ كم كنت أُحبُّ أنْ تملأ الدنيا شعراً يتحدّث عن هذه الدعوة المباركة وهذا الرسول الكريم ـ وصمتت حواء صمتاً طويلاً هو في الظاهر صمت لكن

المؤمنين صمتهم تسبيح ـ واستغفار ـ وذهبت حوّاء بنت يزيد إلى مكان صلاتها وبينما هي بين يدي الله وإذا بالرجل يفعل ما لا يتصوره عقل ـ لقد أخذ ثيابها ووضعها على رأسها وهي ساجدة ـ أَتَصِلُ المهانة إلى هذا الحدّ أيّها الشاعر المغمور بزوجك التي أفضت إليك حُبّاً لا ينقطع ـ!!..

أكملت حوّاء صَلاَتِها واسترسلت في خشوعها ـ وتركت ما في نفسها إلى جانبها لتتفرغ إلى خشوعها وقضت صلاتها..

وفي اليوم التالي وبينما هي كالعادة في صلاتها ـ فإذا بقيس بن الخطيم زوجها لا يكفّ عن إيذائها ـ فقد جاءها وهي ساجدة أيضاً ورفع جسدها من الخلف إلى أن جعلها تقف على رأسها وقلبها إلى الناحية الثانية وألقاها بعيداً عندئذ تجاوبت الدموع مع ما أصاب السيدة حوّاء بنت يزيد من الحزن ـ فبكت واشتد بكاؤها. واستمر الرجل على هذا المنوال إلى أن شاع الخبر بين الأنصار في المدينة ـ وكان صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه متصلاً بأخبار الأنصار في المدينة ـ فجاءه عليه السلام مَن يبلغه أن حواء بنت يزيد ـ سيدة من بني عبد الأشهل قد أسلمت وحَسُن إسلامها ـ وإن زوجها الشاعر قيس بن الخطيم تعود على إيذائها ـ عند ذلك تذكّر الرسول ﷺ ما يلاقيه المسلمون في مكة من عنت المشركين وظلمهم ـ وإجحاف سادة قريش بمَن أعلنوا إسلامهم..

احتسبت حواء بنت يزيد ما تَلْقاهُ من زوجها عند الله ـ إلى

أن خرج إلى مكة مع قومه ليطلبوا الحلف من قريش ـ في هذه الأثناء كان موسم في مكة وموعد لقاء مع الرسول مع القبائل كل عام ـ فالتقى عليه الصلاة والسلام بقيس بن الخطيم وعرض عليه الإسلام فطلب من الرسـول أن يمهله حتى يعود إلى المدينة ـ ولم يوفّق في هذه اللحظة أن يدخل الإسلام ولكن الرسول ﷺ لم يتركه بل سأله عن زوجته حواء بنت يزيد وأوصاه بها خيراً وقال له: «إنها قد أسلمت وإنك تؤذيها فأُحبّ أنك لا تتعرض إليها». وعاد قيس بن الخطيم إلى المدينة واجتنب إيذاء زوجته ـ وتركها وشأنها.

وحافظ على وصية الرسول ﷺ..

بلغ الرسول ﷺ بعد فترة أن قيس بن الخطيم قد حافظ على وعده إياه وترك زوجته وشأنها ـ فقال عليه الصلاة والسلام لما بلغه ذلك: «وَفَّى الأديعج» لأنه عليه السلام ما كان يتوقع منه ذلك.

وبعد فترة وجيزة كانت بيعة العقبة الثانية ولم يدخل قيس بن الخطيم الإسلام وقتل قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة... وهو على دين الشرك.. والوثنية.

أمّا حوّاء فقد استمر إسلامها ـ وفاض إيمانها برّاً ورحمة حولها وشاركت النساء في البيعة فبايعت الرسول ﷺ عندما جاء إلى المدينة مهاجراً.

وروت السيدة حواء عن النبي ﷺ فقالت أنها سمعته يقول: «ردّوا السائل ولو بظفف محرق».

وروى عنها عمرو بن معاذ.. وعاشت سنوات مع الرسول في المدينة..

يذكر لها تاريخ نساء الأنصار أنَّها جاهدت واحتسبت جهاد نفسها الذي سبَّبه إيذاء زوجها عند الله عزّ وجل - هنيئاً حواء بنت يزيد - هنيئاً لك أجْرَ ما صنعت ويكفيك شرفاً أنك ممّن روين عن الرسول ﷺ وممّن تحدثن إليه وسمعن منه. شأنك شأن الأنصار نساءً ورجالاً - رغم أن الناس يتكاثرون وهم قليل - وقال عنهم رسول الله ﷺ في آخر خطبة ألقاها:

«يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيراً، فإن الناس يزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد، وأنَّهم كانوا عَيْبَتي[1] التي أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مُسِيئهم»، صدق رسول الله ورحم الله حوّاء بنت يزيد الصابرة المحتسبة.

معاذة بنت عبد الله الخزرجية الأنصارية

قال تعالى:

﴿ وليستَعْففِ الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذينَ يبتغون الكتابَ مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وءَاتُوهُم من مَّالِ اللهِ الذِي ءَاتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاءِ إن أَرَدْنَ تَحَصُّناً لتبتَغُوا عَرَضَ الحياةِ الدنيَا ومَن يكرهُهنَّ فإنَّ الله مِنْ بَعْدِ إكراهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

جارية ـ بل سيدة وأيّة سيدة!!

كانت جاريةً لا بلِ أصبحت سيدة فاضلة امتحنت في شرفها فكان الامتحان رهيباً.. شتّان بين الإِسلام والبغي ـ والتقوى والفجور.. إنها سيدة مسلمة لا باغية ولا فاجرة ـ ما كانت فتاة سوء ولا كانت بغياً..

بل هي من فواضل النساء ـ تحدّث عنها القرآن، وحدد أنها تعرضت بالإِكراه للبغاء ولكن صمودها وتمسكها بدينها كان أكبر

---

(١) الآية ٣٣ من سورة النور.

من سادة الأرض وأشراف يثرب من أهل الجاهلية ـ لقد رَغِبَ سادة المنافقين وعبيد المال أن يكرهوها على البغاء ولكن ـ مَن أراد الله به خَيْراً فلا رادَّ لأمر الله ـ عندما استعانت استعانت بالله، ولما سألت سألت الله ـ فكان العون، ونِعمَ العونُ عون الله.

هذه السيدة أمسكت على دينها كالقابض على الجمر يوم أن كانت لا تملك من أمرها شيئاً، جاءها مَن يريد بها السوء ويكرهها على البغي فأبت إلا أن تكون محصنة ـ شريفة، وكان الله غفوراً رحيماً..

تُرى ما الصورة ـ بعد هذا الإطار العام؟ لنرَ الصورة في مشاهد.

نسبها

هي معاذة بنت عبد الله بن جبير بن الضرير بن أُمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج ـ الخزرجية الأنصارية.

كانت مولاة عبد الله بن أُبيّ بن سلول المنافق.

امرأة مسلمة فاضلة ـ هكذا أجمع الرواة على وصفها.. كفى إسلامها وكفى أنها فاضلة ـ ولكن لنعرض لسيرتها إنصافاً لموقفها العظيم الذي رافَعَ عنه القرآن ـ فكيف بالله بمَن أكره على البغي وصبر واحتسب ولم تدع شياطين الإنس وذئابهم

أن يأخذوا من دينها وتقواها ما يسيء إليها.

أُمتحنت معاذة امتحاناً رهيباً في بيت رجل منافق لا يعرف شيئاً من المُثُل إلا ملذات الحياة، فالمسلمون الذين نافقهم بإسلام مزيف بلا يبتغون عَرَضَ الحياة الدنيا وإنما يرجون الله واليوم الآخر.

إنه في سيرة السيدة معاذة بنت عبد الله يبحث عن المال ولكن لا يهمّ كيف يكون الطريق للوصول إلى المال - لا يهمّه شرف المحصنات الحافظات لفروجهن. إنها جارية عنده - فلا تهمّ انسانيتها، إنها تقوم على خدمة بيته وأهله ولا اعتراف بإنسانيتها، يمكن أن تغتصب ولا حول ولا قوة إلا بالله ومن إعراض هذا المنافق لا يهمّ إنها جارية - لا تهمّ الطريقة المهم الحصول على المال من ورائها - أليس في هذا قمة الفجور من هذا المنافق.

محنة المسلمة المبايعة

أسلمت معاذة وبايعت رسول الله بيعة النساء على أن لا يسرقن ولا يزنين ولا يأتين ببهتان بين أيديهنّ وأرجلهنّ - بايَعَتْ على السمع والطاعة - بايَعَتْ على الجهاد في سبيل الله - سمعت الرسول وهو يقول لهنّ حينما أكثرن عليه: فيمَ استطعتنّ وأطقتنّ نعم فيمَ استطعن وأطقتنّ.

هذه معاذة إلى هذا الحدّ العظيم قد وصلت بينما هي جارية في بيت عبد الله بن أُبيّ بن سلول ـ يريد عَرَضَ الحياة وقصته مع معاذة غريبة الشأن تثير كل مَن سمعها لكن الله سبحانه عزّ وجل نبّه إلى فجور هذا الرجل وجاءت الآيات تفضح أباطيله. فقد كان عنده في بيته أسير وأراد عَرَضَ الدنيا ـ فجاءها يطلب منها شيئاً غريباً!!.

لقد طلب منها أن تمكِّنه من نفسها..

فقال: ولكنه لا يحلّ لي، فكيف أُمكِّنه من نفسي وأنا على دين الإسلام، فجنّ جنون الرجل يريدها أن تمكِّنه من نفسها حتى تحمل منه فيأخذ وليدها فداءً وهذا هو العَرَض الذي قصدته الآيات.

رفضت معاذة بطبيعة الحال ـ فحياتها كلها دون أن تفعل ذلك. وراح عبد الله بن أُبيّ بن سلول يضربها بعنف يوماً بعد يوم كي تمكِّنه من نفسها ولكن هيهات له. وكان على الخيِّرين من رجال الإسلام أن يمنعوا هذا العمل الفاجر ويهبّوا لإنقاذ سيدة فاضلة جليلة. فكان هناك مَن أعتقها وجعلها حرةً تملك نفسها وتخرج من ظلم الظالمين.

وتزوجها بعد ذلك سَهْل بن قرطة أخو بني عمرو بن عوف فولدت له عبد الله بن سهل وأُم سعيد بنت سهل وهما من أفاضل المسلمين من الأنصار.

ثم فرّق الموت بينها وبين زوجها سهل فتزوجها بعده عامر بن عديّ رجل من بني خطة على دين الإسلام وأنجبت أيضاً. . وعاشت تربي أبناءها وبناتها يؤمنّ بما جاء بربه ﷺ وما أُنزل عليه من ربه.

وكان التوجيه القرآني العظيم عندما نزلت الآيات الكريمة:

﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاءِ إن أردن تحصُّناً لتبتغوا عَرَضَ الحياة الدنيا، ومَن يكرههُّنَّ فإن الله من بَعْدِ إكراههنّ غفورٌ رحيم ﴾.

رحم الله معاذة بنت عبد الله فقد ضربت مثالاً للمرأة الصالحة القابضة على دينها كالقابض الجمر ـ عانت ممّن يبتغون عَرَضَ الحياة الدنيا ففازت بشرف الآخرة ـ فهي الحور العين في الجنة إنشاء الله على الأرائك يضحكون ممّن أخذتهم العزّة بالنفس في الدنيا ـ ونسوا الآخرة فخسروا الدنيا والآخرة ـ هنيئاً معاذة ـ وفي جنة الخلد مع الأنصار ونساء رسول الله. . . رحم الله الأنصار ونساء الأنصار وأبناء الأنصار.

أُم أيـــوب

روى أبو أيوب الأنصاري رضوان الله عليه هذه الكلمات عن الرسول ﷺ في الزواج فقال:

«اللَّهمّ إنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّمُ الغيوب فإذا رأيت لي في فلانة... وأنت علاّم الغيوب ودنياي وآخرتي فاقدرها لي وإن كان غيرها خيراً لي منها فأمضي لي».

صدق رسول الله ورحم الله أبا أيوب الأنصاري، فقد استجاب له الدعاء وتزوج أُم أيوب، فكانت عوناً له في إسلامه، وفي جهاده، لم تُثْنه يوماً عن قتال المشركين فكان سيفه بتّاراً لكل عدو من أعداء الإسلام كانت أُم أيوب تحت رجل عَفٍّ النفس مما في أيدي الناس، كريمها في العطاء للناس جميعاً.

كان يدخل عليها ويقول يا أُمُ أيوب ـ «لا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً» فلم يترك الزوج غزوة إلا غزاها وكانت ـ تبتهل إلى الله أن يعيد لها الزوج الكريم، انتظرت كثيراً مجيء الرسول ﷺ لزيارتهم في المدينة فأكرمها الله باستضافة أشرف الخلق في

بيتها ـ أعدّت طعامه بيدها وأرسلت منه لفاطمة بنت رسول الله عندما قدِمت إلى المدينة.

سخاؤها وكرمها من سخاء زوجها، فإن لم تكن هي التي تُعين الزوج وتقرّه على استضافة رسول الله، لم يكـن الدافع لدى الزوج بقوته حين لا تقرّه على استضافة ضيفه في بيتها الذي هو بيته.

بطاقـــة تعريف

يكفيها شرفاً أنها زوج أبي أيوب الأنصاري ـ كان هو من السابقين فكانت أُم أيوب من السابقات اللواتي قال الله فيهم:

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنـه وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾[1].

لقد سبقت إلى الإسلام وجعلت بيتها مكاناً طاهراً ـ فحظي هذا البيت بزيارة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

نســـبها

هي أُم أيوب بنت قيس بن سعد بن عمرو بن قيس بن امرىء القيس ـ روت عـن رسول الله ﷺ[2].

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة التوبة.

(٢) الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ص ١١٩ ط دار الفكر.

مع الـــزوج

بدأ أبو أيوبِ الأنصاري يُعِدُّ سيفه وفرسه الشهباء ويتقلد سيفه ـ فجاءت أُم أيوب تنظر وتتسائل إلى أين؟

لقد قرر الزوج أن يلتقي بهذا الرجل القرشي الذي جاء بدين جديد فودعته وقلبها معه، كأيّ زوجة تكون في وداع الزوج تحفّه بالدعوات أن يعود لها سالماً غانماً، وانطلق الفارس في جنح الظلام بينما سكنت يثرب كأنما هذا الصمت الساكن الهادىء يخفي وراءه طوفـان ونور عـظيم قد أشـرف على الأبواب، وما يدرينا لعله يأتي فيمنع ذلك السيل الفيّاض من الدماء التي تسيل في حروب الأوس والخزرج، ولعلّ هذا الطيف القادم يضرب الحيّة التي تنفث سمّها من المدينة والتي تمثلت في اليهود على مختلف أجناسهم من بني قريظة أو بني النضير أو بني قينقاع. . وحسبي أن أُم أيوب قد خالجها الكثير الكثير من هذه الأطياف.

لم تمضِ أيام كثيرة حتى عاد الفارس ملثماً وقد غنم ابتسامة عريضة على ثغره الفيّاض تُرى عمّا تحدّث الزوج مع قرشي مكـة صاحب الدعوة الجديدة التي بدأت رياحها تهبّ على يثرب. لقد علمت من زوجها أنه التقى وأصحابه مع رسول الله ﷺ عند مشارف مكة وقد بايعوه على السمع والطاعة لما سمعوا منه كلام فيه حلاوة وأن عليه لطلاوة. وقال أبو أيوب في نفسه لا بدّ من زوجة مسلمة فكانت أُم أيوب مثلاً للطاعة.

وبعد أن أخذ أبو أيوب قسطاً من الراحة قصد إلى منزل أسعد بن زرارة من ديار بني عبد الأشهل واستمع إلى سفير رسول الله ﷺ مصعب بن عمير أو مصعب الخير كما كان يحلو لأهل المدينة أن يسمّوه، ولم يَمضِ زمناً طويلاً على ذلك حتى جاء البشير يهتف بأعلى صوت ـ وصل وفد رسول الله ـ محمد بن عبد الله في زيارة للمدينة اخرجوا يا قوم، وخرج الرجال والنساء والأطفال وتردّد النشيد تلقائياً من أفواه بناتهنّ بنات الأنصار يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وخرج أهل يثرب لاستقبال محمد زرافات ووُحدانا، رجالاً ونساءً، بعد أن ترامت إلى مسامعهم أخبار وصوله صلوات الله وسلامه عليه، وجاء الموكب الشريف يحمل الرسول وصاحبه، ووقف أبناء يثرب كلّ منهم يمسك بالناقة يحاول أن يستأثر باستضافة صاحبه وحبيبه فيقول الرسول ﷺ: اتركوها فإنها مأمورة فيتركوها ـ ثم يأتِ قوم آخرون فيقول عليه السلام دعوها فإنها مأمورة ـ وظلت الناقة تمشي حتى وصلت إلى مَرْبد ـ سهل وسهيل ابني عمرو ـ وهذا المكان الفسيح يقع مقابل دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

فوقفت أُم أيوب على باب دارها تتأمل الضيف القادم والنور الساطع والرسول الكريم وانطلق زوجها فحمل متاع رسول الله

ودخل به منزله ـ وهو يقول بأبي أنت وأمي يـا رسول الله ـ ودخل الرسول ﷺ دار أمِّ أيوب وكان مكوَّناً من طـابقين، فأخلت وزوجها الطابق العلوي للرسول ﷺ ـ لكنه صلوات الله وسلامه عليه فضّل أن يبقى في الدور الأول فنزل أبو أيوب على رغبة رسول الله ﷺ.

الليلة الطويلة

وصعد أبو أيوب إلى الطابق العلوي هو وزوجته، وحاول أن يأخذ قسطاً من النوم فلم تستطع أم أيوب النوم وكذلك زوجها إلى أن تنفس الصبح ـ ولما أصبح الصبح نزل أبو أيوب ونزلت خلفه ـ فألقيا السلام على رسول الله ـ ثم قال أبـو أيوب: يا رسول الله . . ما رأيت النوم هذه الليلة، لا أنا ولا زوجتي أم أيوب. فقال عليه السلام: «ومِمَ ذاك يا أبا أيوب»؟ فقال رضي الله عنه: خشيت أن تزعجك حركتنـا فوقـك يا رسـول الله وخشيت أيضاً أن أكون بينك وبين الوحي.

عند ذلك: هوّن الرسول ﷺ على أبي أيوب وخفّف من قلقه، ولكن أبا أيوب ظل يلحّ على رسول الله حتى وافقه على أن يصعد للدور العلوي ـ وينزل هو وزوجه أم أيوب إلى الدور السفلي.

وظل الرسول ضيفاً على أم أيوب وزوجها سبعة أشهر حتى بنى المسلمون المسجد في الأرض الخلاء المقابلة لبيته ثم

أقاموا حجرات للرسول ﷺ وأزواجه رضوان الله عنهم وأصبح أبو أيوب جار رسول الله ﷺ.

الرسول في ضيافتها

خرج الرسول ﷺ ذات يوم من بيته جائعاً ـ ليس في بيته طعام فلقيه في الطريق أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ فقال الرسول ﷺ: «ما أخرجكَ في هذه الساعة يا أبا بكر»؟ فقال أبو بكر: أخرجني الجوع يا رسول الله. ولم يكد ينهي أبو بكر حديثه حتى جاء عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فسأله الرسول ﷺ: «ما الذي أخرجك يا عمر»؟ قال عمر: والله ما أخرجني إلا الجوع يا رسول الله. فقال عليه السلام: «وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غير ذلك».

عند ذلك بادر الرسول قائلاً: هيا بنا إلى أبي أيوب الأنصاري فانطلق الرسول ﷺ وصاحباه رضوان الله عليهما إلى دار أم أيوب وطرقوا الباب فجاءهم صوتها من خلف الباب.. أبشر. أبشر، وفتحت الباب وسألوا عن أبي أيوب أشارت عليه فقد كان يجني تمراً ـ فجاء مرحِّباً برسول الله وأصحابه وقال: يا رسول الله أحببت أن تأكل من التمر والرُّطب والبُسْر، ولأذبحنّ لك إن شاء الله.

فقال عليه السلام: «إذا ذبحت يا أبا أيوب فلا تَذْبحنّ ذات لبن».

وذَبَحَ أبو أيوب الشاة وأعدّت أُم أيوب طعام رسول الله ﷺ، وتشرفت أُم أيوب بأن أعدّت مائدة لـرسول الله أكـل منها وأصحابه ثم حمد الله وأثنى عليه وقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده إن هذا لهو النعيم الذي تُسألون عليه يوم القيامة، فإذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فيه فقولوا: بسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذي هو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل».

وقد سمعت أُم أيوب أول آذان صدح به بلال في المدينة فحمدت الله وغمرتها سعادة الرضا بما أنعم الله عليها وعلى زوجها بنعمة الإسلام.

وأطرقت السمع مرة أُخرى فسمعت أُولى خـطب رسول الله ﷺ في المدينة والذي قال فيها عليه السلام:

«مَن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بِشِقٍّ من تمرة فليفعل ومَن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها».

وسمعته في خطبته الثانية يقول: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حقّ تقاه، واصدقوا الله صالح ما تقولون، وتحابّوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينتكث عهده».

إنه وحي يوحى، يخرج من فيه الكريم فتزداد أُم أيوب إيماناً على إيمان فانطلقت تجاري زوجها المجاهد وتجتهد حتى تعبد الله مثله وتصلي مثله وتحفظ القرآن كما حفظ هو من رسول الله..

وتشرّفت أُم أيوب بالرواية عن الرسول ﷺ فقالت: نزل علينا رسول الله ﷺ فتكلفنا له طعاماً فيه بعض البقول، فكرهه، وقال لأصحاله: كلوا فـإني لست كأحـدكم، إني أكره أن أُوذي أصحابي»[1].

رحم الله أُم أيوب فقد كانت سيدة من نساء الأنصار اللاتي سمعن رسول الله وحفظن سنّته، وبايعنه على الطاعة.

---

(١) رواه مسلم والنسائي وأحمد وابن ماجه.

أُم عطية الأنصارية

قال تعالى:

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ﴾ الآية.

وقال رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة قال سألنا رسول الله ﷺ مَن خير الناس؟ قال: «أنا ومَن معي». قيل ثم مَن. قال: «الذين على الأثر» قيل ثم مَن؟ قال: «ثم الذين على الأثر».

كانت أُم عطية الأنصارية ممّن مع رسول الله عاشت عصره وسمعت منه وحدّثته مباشرة. وأُم عطية الأنصارية - من فقهاء الصحابيات - لها عدة أحاديث روتها عنه صلوات الله وسلامه عليه.

وفي البصرة عاشت أواخر أيامها فقيهة يؤخذ عنها وعن روايتها عن الرسول ﷺ بشأن اتباع النساء للجنائز - ومنهج غسل الميت - تشرّفت بوداع السيدة زينب كبرى بنات الرسول ﷺ فغسلت جثمانها الطاهر.

سبعون عاماً قضتها بين المدينة والبصرة هي مساحة عمرها ـ لها شرف الانتماء لأنصار الرسول ﷺ.

شاركت المسلمين في الجهاد فكانت من النساء اللاتي حضرن كثيراً من غزوات المسلمين فسقت وضمّدت جروح الطاهرين من صحابة وفرسان رسول الله ﷺ.

أليست أُم عطية أحقُّ بصفحات قليلة عن سيرتها الكبيرة في معناها الكثيرة في عددها وعدادها ـ فلنخطُ خطوات قليلة في رحاب أُم عطية.

النســـب

اسمها نسيبة بنت الحارث[1].

من فقهاء الصحابة، لها أحاديث عدّة.

كانت من النساء اللاتي بايعن رسول الله ﷺ. روى عنها أنس بن مالك ومحمد بن سيرين وغيرهم من التابعين.

وكان من أشهر ما روته وأصبح مأخوذاً به في غسل الميت من جانب الفقهاء حديثها التي روته عن رسول الله ﷺ يوم وفاة ابنته زينب. وكانت السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ زوجة أبي

---

(١) وقيل نسيبة بنت كعب لكن هذا النسب أنكره ابن عمر، الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٤٥٥.

العاص بن الربيع والذي أجارته زينب في المدينة عندما جاء إلى المدينة مشركاً وأسره المسلمون فسألت السيدة زينب أباها أن يردّ عليه متاعه الذي أخذه منه المسلمون لحظة أسره، ففعل عليه السلام بعد مشورة المسلمين وأمرها ألّا يقربها ما دام مشركاً - فرجع إلى مكة، فأدى كلَّ بذي حق حقَّه، ثم رجع مُسلماً مهاجراً في المحرم سنة سبع هجرية - فردّ عليه الرسول ﷺ زوجته زينب بالصداق الأول، وكانت زينب مثالاً للإخلاص لزوجها ودينها - قريبة إلى قلب أبيها رسول الله ﷺ - وهي كبرى بناته عليه السلام من المهاجرات السيدات وفي العام الهجري الثامن - وبالتحديد في أول العام الثامن الهجري ماتت زينب وتركت ولداً صغيراً وبنتاً (علي، وأُمامة أبناء أبي العاص بن الربيع).

وكانت السيدة أُم عطية الأنصارية في بيت رسول الله يوم ماتت زينب وشهدت هذا الحدث بنفسها وشاركت فيه.

ودخلت ضمن النساء اللاتي غسلن جثمان زينب رضي الله عنها. فقالت: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال: «إغسلنها وِتراً - ثلاثاً أو خمساً واجعلن في الآخِرة كافوراً أو شيئاً من كافور فإذا غَسَّلتُنَّها، فأعْلِمنني» فلما غسلناها، أعطانا حقوة فقال: «أشعِرْنَها إياه»[1].

---

(١) أخرجه مسلم ٩٣٩، وفي الموطأ في الجنائز باب غسل الميت، والبخاري ١٢٥٤. . وأبو داود والنسائي ٣١٤٢.

و(الحقو) هو الإزار والكفن المجهز.

هكـذا واسَت أُم عطيـة الأنصـاريـة بيت رسـول الله ﷺ وشاركتهم في الضرّاء كما هي شريكة في السرّاء وكم شاركت في السرّاء أيضاً.

وقالت أُم عطية الأنصارية أيضاً: نُهينا عن اتّباع الجنائز، ولم يُعْـزَم علينا، أي إن رسول الله ﷺ نهى النساء عن اتّباعِ الجنائز ولكن لم يؤكد علينا في المنع وقد يؤكد رواية السيدة أُم عطية حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان في جنازة، فرأى عمر امرأة فصاح بها فقال عليه السلام: «دعها يا عمر...».

هكذا كانت أُم عطية رواية ثقة ـ حتى أن حديثها السابق عن اتّباع الجنائز، خُـرِّج في الكتب الستة (البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود، والموطأ، وابن ماجه). ولقد أخَذَ أهل المدينة بما جاء عن أُم عطية في النهي عن اتباع الجنائز وأجازه الإمام مالك رضي الله عنه. الذي كان يُعدّ إمام الفقه في المدينة.

كانت أُم عطية من نساء الأنصار اللاتي تربطهنّ صلة عظيمة ورابطة وثيقة ببيت رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام ـ وبالمقابل كانت السيدة عائشة أُم المؤمنين تربطها بنساء الأنصار علاقات وثيقـة فهي تشاركهنّ أفراحهنّ وتقدّم مـا عنـدهـا لهنّ في المناسبات وتقبل منهنّ أيضاً مودّة ورحمة.

وقد دخل النبي ﷺ كعادته بيت عائشة رضي الله عنها فقال:

هل عندكم من شيء قالت عائشة: لا إلا شيء بعثت به إلينا نسيبة بنت الحارث «أم عطية» من الشاة التي بعثت إليها من الصدقة.

فقال عليه السلام: «إنها قد بلغت محلها»[1].

هكذا كانت أم عطية تعيش في رحاب حب بيت رسول الله ﷺ، ونساء رسول الله رضي الله عنهنّ.

وماذا عن الغزوات ودورها فيها لقد روت بنفسها في صحيح مسلم فقالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات كنت أخلفهم في رحالهم..

كانت مثلها مثل نساء الأنصار ممرضة وساقية ومقاتلة إذا دعى الأمر إلى ذلك.

عاشت سبعين عاماً قضت أيامها الأخيرة من هذا العمر الطويل في البصرة فنزلت في قصر يقال له قصر بني خلف ـ وهناك كانت من الفقهاء المحدثين بيتها مزاراً للصحابة والتابعين بإحسان إلى يوم الدين..

هنيئاً لأم عطية أنها من السابقات إلى الإسلام من خير القرون قرن عاش فيه خير البشر محمدٌ ﷺ ـ تلك هي صورة سريعة لأم عطية الأنصارية. إحدى أشهر نساء الأنصار رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٤٥٥. التخريج من كتب الحديث وليس من كتب التراجم.

أم سعد الأنصارية

بسم الله الرحمن الرحيم.. قال تعالى:

﴿ وَيَسْتَفتونَك فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَآءِ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الوِلْدَانِ وأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً ﴾[1].

كانت قارئة للقرآن ـ حفّاظة له، صابرة على النوائب من أيّ مكان جاءت، وفي أيّ شِقٍّ من النَّفس تأتياها. كانت ابنة رجل من زعماء الأنصار ونقبائهم الذين سبقوا وسابقوا إلى نصرة الإسلام في المدينة، ومن المبارين إلى بيت أسعد بن زرارة لإعلان إسلامه.

كان أبوها من رجال العقبة الأماجد الذين مدّوا الأيادي

(١) الآية ١٢٧ من سورة النساء.

المباركة إلى رسول الله ﷺ وقالوا لَهُ نبايعك يا رسول الله بيعة النساء نبايعك في المنشط والمكره.

ولما دخل المسلمون المدينة وآخى الرسول ﷺ بين أبيها سعد بن الربيع سيد الخزرج وبين عبد الرحمن بن عوف قال أبوها لعبد الرحمن بن عوف:

(يا أخي لي امرأتان، وأنت أخي، فأنزل لك عن إحداهُنَّ لتتزوجها. فقال عبد الرحمن: لا والله يا أخي. فقال سعد: هذا مالي نقتسمه سوياً. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في مالك وأهلك - ولكن قل لي أين السوق؟ فقال سعد بن الربيع: لماذا تسأل عن السوق؟ قال عبد الرحمن: لأبيع وأشتري وأكسب رزقي. فدلّه على السوق).

ومن الضرورة أن ننتقل فوراً إلى المشهد الأخير في حياة والدها نقيب الخزرج وسيدهم. إنَّه يوم أُحُد - في هذا اليوم ترك الرماة مكانهم، وتراجع المسلمون، وبدا في الأفق هزيمةٌ مواتية للرسول وأصحابه. فنادى مصعب بن عمير يستحثّ الأنصار ويقول: أهل العقبة ونقباءها.. أهل العقبة ونقباءها.

فيجيب سعد بن الربيع الخزرجي: لبّيك يا أخا الإسلام، وينطلق بين الصفوف ويضرب بسيفه يميناً وشمالاً، حتى انهارت قواه وأصابته سهام الغدر فطُرِح جسده الظاهر على الأرض، وانتهت المعركة وانفضّ غبارها.

فقال رسول الله ﷺ: «من رجل ينظر إليَّ فِعْل سعد بن الربيع أمن الأحياء أم من الأموات؟.

فقال رجل من الأنصار: أنا أَنْظُرُ لَكَ يا رسول الله ما فعل (سعد بن الربيع).

وخرج الأنصاري يبحث عنه بين القتلى فوجده وقد راحت أنفاسه تتلاحق في الرمق الأخير، فإذا بسعد يقول لصاحبه:

أنا من الأموات يا أخي، فأبلغ رسول الله عنّي السلام وقُلْ له إنَّ سعد بن الربيع يقول جزاك الله عَنّا ما جزى نبيّاً عن أُمّته، وأبلغ قومك عنّي السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: (إنَّه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عين تطرف).

ثم خرجت الروح الطاهرة في موكب ملائكي مهيب، وما إن بَلَغَ رسول الله ﷺ كلام سعد ـ حتى قال: «رَحِمَه الله ـ فقد نصح الله ورسوله حيّاً وميّتاً»(١).

تحدّثنا عن الأب المسلم، سعد بن الربيع الخزرجي الأنصاري.

أُمها خلادة بنت أنس بن سنان من بني ساعدة، وقد كانت حامِلاً بها فوضعتها بعد مقتل سعد بعدَّة أشهر.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٨١.

وأُم سعد كنية لها ولكن اسمها جميلة بنت سعد بن الربيع.

وبعد ولادتها وجدت نفسها وأُمها وأُختها الكبرى في رعاية أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد عهد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق برعاية بنات سعد بن الربيع، فرعاهما أبو بكر أحسن رعاية حتى إن عمر بن الخطاب مرّ فرأى إحدى البنتين مع أبي بكر فسأله قائلاً: مَن تكون هـذه الفتاة يا أبا بكر؟

فقال الصدّيق رضوان الله عليه:

هذه بنت رجل خيرٌ منّي ومنك.. فهو أحَدُ النقباء الإثني عشر في بيعة العقبة، وشهد بدراً، واستشهد في أُحُد، إنها بنت سعد بن الربيع نقيب الخزرج، يوم البيعة[1].

وتمرّ السنون، وتجيء امرأة سعد بن الربيع بابنتيها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله، هاتان بنتا سعد قُتِلَ أبوهما معك يوم أُحُد شهيداً وإنَّ عمّهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالاً، ولا تتزوجان إلا ولهما مال فقال عليه السلام: «يقضي الله من أجلك»، فأُنزلت آيات المواريث.

يقول عزّ وجل: بسم الله الرحمن الرحيم:

* ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذين لَوْ تَركُوا من خَلْفِهِمْ ذُرّيَةً ضِعَافاً خافوا

---

(١) الإصابة ترجمة سعد بن الربيع ١٥٣ ج ٢ ص ٢٥، ط دار إحياء التراث ـ بيروت.

عَلَيْهِمْ فليتقوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سديداً ﴾[1].

* ﴿ إنَّ الذينَ يأكُلُونَ أمْوَالَ اليتامى ظُلْماً إنَّما يأكُلُونَ في بطونِهِم ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[2].

* ﴿ يوصيكُمُ الله في أولادِكُمْ للذَّكرِ مِثلُ حَظِّ الأُنثيين فإن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثنتين فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وإنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأِبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسَ مِمَّا تَرَكَ إن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فإن لم يَكُنْ لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فإن كَانَ لَهُ إخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أوْ دَيْنٍ ءَابآؤُكُم وَأبنآؤُكُم لا تَدْرُونَ أيُّهُمْ أقْرَبُ لَكُمْ نَفعاً فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[3].

هذه مواقف وصور رائعة عن الأب والأسرة، أسرة أم سعد بن الربيع الأنصارية إنها أسرة جميلة بنت سعد بن الربيع.

---

(1) سورة النساء الآية ٩.

(2) سورة النساء الآية ١٠.

(3) سورة النساء الآية ١١.

جميلة بنت سعد بن الربيع
مع القرآن

حفظت أُم سعد بنت سعد بن الربيع الأنصارية القرآن فأحسنت حفظه، وَأَتقنت حفظها وهذا داود بن الحصين يقول: كنت أقرأ على أُم سعد بنت سعد بن الربيع الأنصارية مع ابن ابنها موسى بن سعد وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت عليها (والذين عاقدت أيمانكم).

فقالت لا فالصحيح: ﴿ والَّذينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَأتُوهُم نَصِيبَهُمْ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴾[1].

ثم جعلت تقول: إنها نزلت في أبي بكر وعبد الرحمن بن أبي بكر حين أبى أن يُسْلم فحلف أبو بكر لا يورثه فلما أسلم أمره الله تعالى عزّ وجل أن يورِّثه.

هكذا كانت صحابية جليلة، وسيدة فاضلة في عموم القرآن تتابع أسباب النزول وتروي.

وذات يوم دَخَلَ عليها زيد بن ثابت رجل القرآن وأحد أربعة رجال هم أول مَن شارك في جمعه، فكانوا أول الحفّاظ والقرّاء، دخل زيد رضوان الله عليه وقال: يا أُم سعد.. يا أُم سعد إن كنت تريدين أن تكلمي في ميراثك من أبيك فتكلمي

(١) من الآية ٣٣ من سورة النساء.

فإن عُمر قد ورَّث اليوم الحمل، وكان أبوها قتل يَوْم أُحُد كما ذكرنا سابقاً هكذا كان مجلس العلم قريباً منها.

كانت سيدة فاضلة من نسل فاضل، من أُسرة وهبت نفسها للإسلام، القرآن دستورها، وسنّة رسول الله ﷺ.

رحم الله أُم سعد بنت سعد بن الربيع الأنصارية.. فقد كانت قدوة نسائية عظيمة..

أُم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية

«مَا التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني»، الرسول ﷺ يوم أُحُد.

أُم عمارة من أشهر نساء بني النجّار الأنصاريات في المدينة فهي لأب نجاري وأُم خزرجية. هي من بيت أنصاري إسلامي يعدّ من السابقين الأولين.

نسبها

هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم من بني مازن بن النجار.

وأُمها الرباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد بن ثعلبة ينتهي نسبها إلى جشم بن الخزرج. نشأت أُم عمارة في مدينة رسول الله دار الهجرة - وتزوجت زيد بن عاصم نجاري أيضاً فولدت له عبد الله بن زيد، وحبيب بن زيد من أصحاب النبي ﷺ.

ثم تزوجت بعد وفاته غَزِية بن عمرو نجاري أيضاً فولدت له تميماً، وخولة.

هكذا نوجز سيرة أُم عمارة من الميلاد وحتى الزواج والإنجاب في سطور قليلة ـ لأننا في عجالة إلى مواقف خالدة لها نعتز بها ـ ونكتب سيرتها من أجلها ـ نبتغي القدوة والسلوك ـ وأين نحن وفتياتنا من هذه السيرة العطرة سيرة أُم عمارة ـ الجندية المقاتلة فداء لأشرف خلق الله محمد بن عبد الله ﷺ ـ لقد بايعت على «الدم الدم ـ والهدم الهدم» لم يبايع عنها أحد ولكن صانت البيعة ـ وقاتلت في أُحُد والحديبية وخيبر ويوم حنين ويوم اليمامة ـ فإلى المشاهد معها مشهداً مشهداً.

١ ـ يوم العقبة

أثار مصعب بن عمير نفوس أهل المدينة للقاء صاحب الرسالة محمد بن عبد الله ﷺ لما تحلى به من حلو الحديث وعظمة ما يقرأ عليهم من كتاب الله المنزل على هذا الرسول ودخل الناس في دين صاحب مصعب أفواجاً وجماعات وانهارت قلاع الشرك في المدينة ـ وعاد مصعب إلى مكة. ولم تمرّ فترة كبيرة حتى خرج موكب من الأنصار في حجاج قومهم من المشركين ـ وقد صلّوا وتعلموا وتفقهوا في دينهم وكان من بين رجال الموكب البراء بن معرور سيد قومه وأحد النقباء الإثني عشر في هذا اليوم المبارك ـ وقطع صمت القوم البراء وقال: يا قوم إني قد رأيت رأياً، فوالله ما أدري، أتوافقونني عليه؟ أم لا؟.. قال القوم: وما ذاك؟

قال: قد رأيت أن لا أدع هذه الكعبة حتى يظهر. وأن أصلي إليها وكانت القبلة في هذه الأيام إلى الشام حيث المسجد الأقصى ـ هكذا كانت قلوبهم تهوي إلى مكة المكان وإلى محمد ﷺ الإنسان والمعلّم وصاحب الرسالة.

ولنترك البراء ونسمع من رجل آخر ممّن بايعوا رسول الله في هذا اليوم هذا الرجل هو كعب بن مالك يقول: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة في أواسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنّا نكتم مَن معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا. وإنا نرغب بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً.

ثم دعاه القوم إلى دخول الإسلام، فدخل أبو جابر الإسلام وأخبروه بميعاد رسول الله معهم في العقبة، فخرج معهم وصافح الرسول في العقبة وكان نقيباً.

إن ذكريات يوم العقبة ذكريات جميلة وها هي ذي أُم عمارة تمشي على استحياء بصحبة أُم منيع صاحبتها وثاني امرأتين في بيعة العقبة (أُم عمارة، وأُم منيع) كلتاهما نالت شرف هذا اليوم فدائماً يقول المؤرخ ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان ـ هنيئاً لهما ـ هنيئاً لأُم عمارة وأم منيع.

ثم نترك كعب بن مالك يكمل الذكريات فيقول: فنمنا تلك الليلة مع قوم من رجالنا ـ حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلّل القطا مستخفين. حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب الأنصارية (أم عمارة) إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة وهي (أم منيع).

ويكمل كعب بن مالك القصة فيقول: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحبّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له (وتكلم العباس بما يفيد أن قومه سيمنعونه ويحمونه إذا تعرض لخطر دون النظر إلى خلافه معهم في أمر دينه).

ثم تحدّث الرسول ﷺ فتلا القرآن ـ ودعا إلى الله ورغب في الإسلام وكانت أم عمارة تسمع بكل جوارحها هذا الكلام الطيب ـ بينما تهمس لأم منيع بالشهادة والترديد لكلمة لا إلّه إلا الله ـ هذا الرجل الواقف أمامنا هو رسول الله، ولما حان وقت البيعة هتف الرسول ﷺ قائلاً: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»[1].

فأجابه أحد النقباء الإثني عشر وهو البراء بن معرور قائلاً:

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ للاستزادة.

نعم والذي بعثك بالحق، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا (نساءنا) فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر.

وننتقل إلى شخصية أخرى لنسمع ذكريات عزيزة عن قوم العقبة حيث كانت أم عمارة في هذا المجلس الطيب ـ قال أبو الهيثم التيهان مقاطعاً صاحبه البراء بن معرور: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنّا لقاطعوها (يقصد اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا.

فتبسم الرسول الكريم وقال كلمته المشهورة: «بل الدم الدم، والهدم الهدم[1]، أنا منكم وأنتم منّي ـ أُحارب ما حاربتم، وأُسالم مَن سالمتم».

هكذا كان العهد: الهدم الهدم: أي ذمّتي ذمتكم، وحُرمتي حُرمتكم، وطلب الرسول إخراج إثني عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس وتمّت البيعة ـ وبايعت أم عمارة كأول امرأة في المدينة تبايع رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره، ويقول الرسول لها كما قال لكل المبايعات من النساء: «فيما استطعتنّ وفيما أطقتنّ أي قدر طاقتكنّ وجهدكنّ».

(١) الهدم الهدم أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا دمي دمك ـ وهدمي هدمك.

٢ ـ يوم أُحُد

لا نتحدث عن أم عمارة إلا بما تحدّث به عنها حمزة بن سعيد المازني ـ لقد قال عنها بما روت لي جدَّتي عن أم عمارة يوم أُحُد: قال رسول الله ﷺ: «لمقام نسيبة خير من مقام فلان وفلان».

وكانت جدّة ضمرة هنداً تراها يومئذ تقاتلُ أشدَّ القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها ـ حتى جُرِحَتْ ثلاثة عشر جرحاً[١].

هنيئاً لهذه الدماء الطاهرة الذكية التي ترفت من أجل الجهاد في سبيل الله، فلقد كان ابن (قَمِئَة) وهو أحد الكفّار في يوم أُحُد يضربها على عاتقها، فجرحها جرحاً عظيماً مؤثراً ـ ظلَّت تداويه سنةً كاملة ـ حتى نادى المنادي ـ منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، فشدّت عليها ثيابها كي تخرج إلى غزوة حمراء الأسد تشارك رسول الله ﷺ فما استطاعت من نزف الدم[٢].

ونترك أم عمارة تحدّثنا عن ذكرياتها يوم أُحُد ها هي ذي تقول رضوان الله عليها: انكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا بعض الفرسان لا يتموّن عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نُدافع عنه، ونمنع عنه، والنَّاس يمرُّون به منهزمين، ورآني

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٧٩.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ٤١٣.

ولا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً ومعه تُـرس، فقال عليـه السلام: ألـقِ تُرسـك إلى مَن يقاتل، فألقاها فأخذتُهُ فجعلت أُدافع به عن رسول الله، وإنَّما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كانوا رَجَّالةً مثلنا لأصبناهم، إن شاء الله.

وتكمل أُم عمارة حديثها فتقول رضوان الله عليها: فيقبل رجلٌ على فرس، فيضربُني، وترَّست له (أي قابلت الضربة بالترس) فلم يصنع شيئاً وولّى، فاضرب عُرقوب فرسه، فوقع عن ظهره فجعل النبي يصيح: «يا ابن أُم عمارة ـ يا ابن أُم عمـارة، أُمَّكَ، أُمَّـكَ» قالت: فعـاونني عليه ـ حتى أردتـه قتيلاً[1].

وهذا أحد جرحى أُحُد يقول: جُرحت يومئذ جُرحاً، وجعل الدم لا ينقطع، فقال النبي ﷺ: «اعصب جرحك».

فأقبلت أُمي أُم عمارة إليّ، ومعها عصائب في ثـوبها، فربطت جرحي، والنبيُّ ﷺ واقفٌ ـ فقال انهض بنيَّ، فضارِب القَومَ ـ وجعل يقول: «مَن يُطيقُ ما تُطيقينَ يا أُم عُمارة».

فأقبل الذي ضرب ابنها ـ فقال رسول الله ﷺ، هذا ضاربُ ابنك ـ قالت أم عمارة: فاعترضته، فضربت ساقه، فبرك.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «استقدت يا أُم عمارة».

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤١٣، ٤١٤.

ثم أقبل أبناءها عليه، وقضوا عليه قبل أن يصيب أُم عمارة بالأذى فقال الرسول ﷺ: «الحمد لله الذي ظَفَّرك»[1].

٣ - يوم اليمامة

ظهر في منطقة اليمامة مسيلمة الكذاب، الَّذي ادّعى النبوّة، وكذب على الله، وهاجم دين محمد ﷺ، وكان مسيلمة من أخطر المرتدين في الإسلام، وبدأت جيوش المسلمين من المدينة لتؤدب المرتدّين وتعيدهم إلى صوابهم، وتقضي على أذناب الشرك الذين سوّلوا لهم هذا الفكر المرتد، وقالوا إن محمداً قد مات ومات معه دينه.

وخرج خالد بن الوليد على رأس جيش الحق ليؤدب هؤلاء وكذّابهم مسيلمة، وكانت معركة اليمامة هذه معركةً قاسية نظراً لتخطيط وعذر أصحابها، وكثرة أموالهم وخيولهم فهزموا المسلمين في بادىء الأمر، ولكن هيهات أن تضيع روح المؤمن هباءً، فقد استصرخ خالد بن الوليد جنوده، ودعاهم للذود عن دينهم، فثبتوا ودافعوا وجاهدوا حتى انهزم مسيلمة، ودخل المسلمون الحصن الذي يحتمي فيه مسيلمة، وكان حصناً هائلاً ضخماً تقع خلفه حديقة واسعة احتمى فيها كلُّ مَن بقي من رجال مسيلمة الكذاب وحاول المسلمون اختراق الحصن ولكن دون جدوى.

(١) الطبقات ج ٨ ص ٤١٤.

شهدت أُم عمارة جهاد المسلمين وشاركتهم في هذا اليوم المبارك وشهدت بطولاتهم وها هي ذي ترى البطل الإسلامي العظيم أبا دجانة وقد ربط عصابة الموت على رأسه وأقبل على أصحابه يقول: هيا احملوني واقذفوا بجسدي خلف سور الحديقة والحصن، غير مبالٍ بما سيحدث له عندما يفعلون ذلك.

رأت أُم عمارة أصحابه، وهم يخافون عليه مما وراء الحصن ولكن دون جدوى.

لم يكد ينتهي من حديثه، حتى رُفِعَ أبو دجانة على أكفّ الصحابة فوق لوح خشبي، وركّزوا أسنّة الرماح في اللوح الخشبي، وألقوه إلى الداخل خلف السور فسقط على قدمه فانكسرت وأُصيب إصابة بالغة، فتحامل البطل ووقف بطلاً مجاهداً وضرب بسيفه يميناً ويساراً وفتح الباب ونجح في مهمته الفدائية الانتحارية، واندفعت قوات المسلمين داخل الحصن، واشتبك الرجال في قتال شديد مع مسيلمة ورجاله وكانت أُم عمارة ممّن شارك في هذا القتال فقالت حتى أُصيبت يدها وجرحت اثني عشر جرحاً، وها هي ذي تقول: (قطعت يدي يومئذ، فما ألويت عليها، ثم أتيت ابني فوجدته قد قتل مسيلمة، وهو يمسح سيفه من دمه النجس)[1].

---

(١) الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ص ٨٢.

رحم الله أُم عمارة فقد قاتلت حتى أُصيبت يدها وكثرت جراحها ما بين طعنة رمح وضربة سيف، ورحم الله ابنها حبيب بن زيد بن عاصم الذي نال شرف قتال مسيلمة الكذاب، لقد ظل خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضوان الله عليه يأتيها ويعيدها في مرضها وجراحها بعد أن عادت إلى المدينة، وقد نالت شرف الجهاد في أُحُد مع زوجها زيد بن عاصم، ومع ابنيها حبيب وعبد الله أبناء زيد بن عاصم، ثم شهدت بيعة الرضوان، لقد شهدت أعزّ وأجمل أيام المسلمين وجهادهم وشاركتهم في العُسْرة قبل اليُسرة.

وقد جالَت في خاطرها ذكريات عن أيام مضت وسنين خلت بصحبة المصطفى ﷺ عندما قالت له: يا رسول الله:

ما أرى كل شيء إلا للرجال؟ وما أرى النساء يُذكرون..؟!!

فنزل قول الله سبحانه عزَّ وجل:

﴿ إِنَّ المسلمين والمسلمات والمؤمنينَ والمؤمنات والقانِتِينَ والقانِتَاتِ والصَّادقينَ والصَّادِقاتِ والصَّابرينَ والصَّابِراتِ والخاشعينَ والخاشِعاتِ والمتصدقينَ والمتصدِّقاتِ والصائِمين والصائِماتِ والحافِظينَ فروجَهُمْ والحافِظاتِ والذاكرين اللهَ كثيراً والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مغفرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[1].

---

(١) الأحزاب الآية ٣٥.

هنيئاً لأُم عمارة ـ هنيئاً لها مغفرة الله وأجرها العظيم، فقد أبلت بلاءً حسناً ولم تمنعها الجراح والندوب، ويكفيها شرفاً قول رسول الله ﷺ يوم أُحُد: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلّا وأنا أراها تقاتِلُ دوني»، رحم الله أم عمارة ونضر قبرها برياض الجنة، ولتكن في سيرها أسوة حسنة لنساء المسلمين وبناتهنَّ.

كبشـة

لا يحلّ لكم

قال تعالى:

﴿ يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أن تَرِثُواْ النِّسآءَ كُرْهاً ولا تعضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ آتَيتُموهُنَّ إلَّا أن يَأتِينَ بفاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بالْمَعْروفِ فَإن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أن تَكْرَهُوا شيئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كثيراً ﴾[1].

كبشة بنت معن بن عاصم الأنصارية، زوج أبي قيس بن الأسلت من صوالح الأنصار بالمدينة المنورة.

لها قصة كانت تشريعاً عظيماً بدّد جهل الجاهلية، وأنار الظلام الذي جاءت به عصور الجاهلية.

كانت النساءُ في الجاهلية تعاني من قهر الرجل، وظلم العُرف والتقاليد، كانت عِزَّة نفسها، وكرامتها لا توضع في حساب الرجل، لا يؤخذ برأيها، حتى وصل الأمر إلى إزهاق

---

(١) سورة النساء الآية ١٩.

روحها قبل أن تتفتح زهرة حياتها. فكانت عادة وأد البنات من ميراث الجاهلية الغابر الذي قضى عليه الإسلام.

وفي قصة كبشة وزوجها ابن قيس بن الأسلت واحدة من جمال تشريع الإسلام وعظمة ما جاء به من نور بعد ظلام، ومن تكريم وكرامة للمرأة، بعد حرمان وذلٍّ لا يقرّه عقل.

في قصة كبشة امتهان لكرامة المرأة، وتصغير لقيمة الإنسان ومكانة المرأة من نفسه، وقدسية الحياة الأسرية في الحياة والممات، ذلك ما سنراه في قصة كبشة وزوجها أبي قيس بن الأسلت.

الـــزوج

نبدأ الحديث عن قصة كبشة وما نزل فيها من آيات كريمة، بالتعرّف على الزوج الكريم أبو قيس بن الأسلت ينتهي نسبُهُ إلى مالك بن أوس، فهو من الأوس قبل الإسلام ومن الأنصار بعد الإسلام.

نسبُهُ

أبو قيس بن الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مُرّة بن مالك بن الأوس[1].

(١) الإصابة ـ لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ١٦٠.

قيل إن له صحبة، وبعض الرواة ذكروا أنه كان شاعراً من شعراء الجاهلية الأكابر ومما جاء في شعره يصف امرأة:

وتكـرمها جـاراتهـا فيـزرنهـا وتعتلّ من إتيانهنّ فتعـذر[1]

كان فارساً وشاعراً، أسلم فحسُن إسلامه، وكان يحضُّ قومه على الإسلام فيقول لهم: هيّا استبِقوا إلى هذا الرجل.. هيّا اســتبقوا.

كان ذلك بعد أن جلس إلى النبي ﷺ وسمع حديثه الطيب، وقد كان عالماً في الجاهلية يدرك قيمة هذه المبادىء السامية التي جاءت في الإسلام.

وقد كان اللاّفت للنظر في سيرة هذا الرجل ما كان عليه قبل الإسلام في الجاهلية.. فلم يكن أحد من الأوس والخزرج في المدينة أوصف لدين الحنيفية ولا أكثر مسألة لأهل الكتاب عن دينهم من أبي قيس بن الأسلت[2].

فقد كان يسأل اليهود عن دينهم، فكان يقاربهم ويجيبهم بفهم يثير الدهشة والعجب لدى أحبارهم لوعيه بما تعلموا من كتب أحبارهم وما جاء فيها.

حتى أنه خرج ذات مرة إلى الشام فنزل على قوم فأكرموه

---

(١) المصدر السابق ص ١٦١.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣.

ووصلوه وسأل الرهبان والأحبار فدعوه إلى دينهم لما رأوا فهمه لكل هذه الأمور.

فقال له راهب منهم: يا أبا قيس إن كنت تريد دين الحنيفية فهو من حيث خرجت وهو دين إبراهيم.

كان يذكر صفة النبي ﷺ، وأنه يهاجر إلى المدينة، ويشهد معه بُعاث قبل الهجرة بخمس سنين، فلما قَدِمَ النبي ﷺ جاء إليه فقال إلامَ تدعو؟

فذكر له الرسول ﷺ شرائع الإسلام فقال: «ما أحسن هذا وأجمله».

ولما خرج من عند رسول الله ﷺ لقيه المنافق عبد الله بن أُبيّ بن سلول فقال له: يا أبا قيس لقد خرجت من حزبنا كل ملاذ، تارة تحالف قريشاً وتارة تتبع محمداً.

فقال أبو قيس: لا جرم لأتبعنّه إلى آخر الناس.

هذه وقفة سريعة مع زوج كبشة بنت معن بن عاصم تعرّفنا فيها على الرجل فقد تزوج سيدة فاضلة، وكانت من نساء الأنصار اللاتي أسلمن وحَسُن إسلامهنّ رضوان الله عليها.

عاشت كبشة مع زوجها على السرّاء والضرّاء، وقفت إلى جواره كزوج مخلصة فاضلة رغم أنها لم تكن أول زوجة لأبي قيس، فلقد تزوج قبلها مرات ولكن لم ينجب منهنّ إلا ولداً، ولم يكن ابنه يبلغ سن الحلم حتى ماتت زوجته هذه أم ابنه،

وبعد أن ماتت أُم الصبي تزوج أبو قيس من كبشة.

وحاول أهل زوجته الأولى أن يأخذوا الفتى يتربى بينهم ولكن أبا قيس رفض ذلك وأصرَّ على إبقائه معهم، فوافق القوم شريطة أن تُحسن كبشة زوجته الجديدة معاملته، فتعامله كأحد أبناءها.

فقال أبو قيس: إن زوجتي كبشة تتمنى أن يكون لها ولد مثله، وسوف تنزله من نفسها بمنزلة الولد. وتحسن معاملته وتربيته.

وافق القوم وعاد الفتى إلى دار أبيه.

وأحسنت كبشة معاملته، وقامت على خدمته أحسن قيام فهو بمنزلة الابن لها، ورأى أبو قيس منها ذلك فسُرَّ سروراً عظيماً، وزاد حبه لزوجته. كانت تصحبه في خروجها للتسوّق من المدينة، وكانت تُعدّ له فراشه وطعامه وتسهر على راحته تماماً كما تفعل الأُم بل زاد حبّها له كأنه ابن.

وبعد سنوات مرض أبو قيس بن الأسلت مرض الموت، وكانت كبشة تسهر إلى جواره تعمل على راحته وتمرِّضه، وتبذل الجهد كلّ الجهد وتدعو الله أن يمنَّ عليه بالشفاء فيستعيد صحته.

ولكن الله إذا قضى أمراً فلا رادّ لأمره.. تلاحقت أنفاس قيس بن الأسلت وبقي في اللحظات الأخيرة من عمره وجعل

يقول لكبشة: أُوصيك بابني فهو ابنك، نعم فقد تربى على يديك وما زال صبيّاً ناعم الجسد لم ينهض مناهض الرجال بعد.

فتجيب كبشة قائلة: إنه ابني لا تخشَ عليه شيئاً، وأنا أُحبّه كابني تماماً، فاضت روح الرجل، وذهب للقاء ربه، فأصبحت كبشة أرملة، وأصبح الصبيُّ يتيم الأب بعد أن كان يتيم الأُم.

فقامت كبشة على رعايته، وأحسنت ذلك، والصبي يكبر ويترعرع، ولكن الحال لا يدوم على وتيرة واحدة، فبينما كانت تعدّ طعام الفتى، وتقوم على شؤون بيتها وقد كسرها الحزن على هذا الزوج، إلا أن إسلامها وتقواها وصبرها كانوا جميعاً سلاحها التي واجهت به الحياة بعد رحيل زوجها قيس بن الأسلت.

وبينما هي على هذه الحال ـ إذا بأهل زوجها يدخلون عليها فرحّبت بهم ولكنها أوجست منهم خيفةً، ونظرت إليهم فإذا بهم قد أعدُّوا ثوباً أسود وألقوه عليها، وكانت تلك من عادات الجهل والجاهلية. عندما يموت الزوج يقوم أهله بإلقاء الثوب على زوجته، فيكون معنى هذا حرمانها من أمرين ضروريّين لها لكي تُكمِل رحلة العمر في سكينة واطمئنان ـ والأمران اللّذان حُرِّما عليها بمجرد إلقاء الثوب هما:

١ ـ حرمانها من الميراث، فلا يكون لها نصيب في أيِّ مال تركه زوجها.

٢ ـ والأمر الثاني ألّا تتزوج وتظل حبيسة لا يسمح لها أهل بيت زوجها بالخروج أو الزواج إلا بأمرهم فهم أحقّ بزواجها إذا رغب أحدهم في ذلك وإن شاءوا زوَّجوها. فهم أحقّ بها من نفسها ـ كأنها استعبدت.

صارت كبشة حبيسة البيت، لا يسمح لها أهل زوجها بالخروج، مما جعلها تعيش في حزن شديد وتشعر أنها واحدة من سبايا غزوهم أو عبدة اشتروها تودّ لو أعتقوها!!..

فكرت كبشة وهل يقرّ ديننا الحنيف هذا الظلم؟ وهل يدعو رسولنا الكريم الناس من المسلمين إلى هذا الميراث الجاهلي الَّذي يحرم المرأة من حقوقها؟

هل أطلق الإسلام يد الرجل في شؤون المرأة فأعطاه حرية استعبادها وهوانها وعدم النظر إلى مشاعرها؟..

لقد جاء الإسلام ليرفع الظلم عن الناس، ويضرب جهل الجاهلية، ويسمو بكرامة المرأة كما سما بكرامة الرجل.

جعلت كبشة تتحدّث إلى نفسها: أيُعقل أن تحبس امرأة دون نكاح أو مال رهينة إشارة قومها حتى لو عرضت على رجل لا ترغب الزواج منه؟

سجدت كبشة لله سبحانه وتعالى وجعلت تصلي وتستعين بالصبر والصلاة حتى يجعل الله لها مخرجاً وفرجاً، وقد أيقنت تماماً بأن الله خير حافظ وهو أرحم الراحمين أيقنت أن الله لا بدّ

ناصرها على جهل قوم زوجها واستعبادهم، فهي مسلمة موحِّدة وإسلامها سوف يجد حلاً لمحنتها إن شاء الله.

وراحت تتدبر الأمر في نفسها، ماذا أفعل إذن؟ هل أستسلم لجاهليتهم؟ أم أنه لا بدّ من السعي لإيجاد مخرج لهذه المشكلة.. وكان أول ما يخطر ببال أيّ مسلم وأيّ مسلمة في المدينة عندما يتعرّض لمثل هذه المواقف هو التوجّه فوراً إلى مجلس رسول الله ﷺ في مسجده بالمدينة.

وما هي إلا لحظات حتى كانت تقف أمام الرسول ﷺ، فلما التفت إليها ليسألها ما شأنها قالت في صوت هامس مخنوق.

يا رسول الله، ماذا أفعل؟ مات أبو قيس بن الأسلت فلا أنا ورثته، ولا تُرِكتُ حتى أتزوج بعده.

قال عليه السلام: «وكيف»؟

قالت: مات زوجي فجاءني عصبة من أهله وألقوا عليّ ثوباً، وجاء ابنه قيس فورث نكاحي وقد أضرّني وطوَّل عليّ فلا هو ينفق عليّ ولا يدخل بي ولا هو يُخلي سبيلي.

فقال عليه السلام: «اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله».

انصرفت كبشة وسمعت النساء في المدينة بما حدث لها فأتين رسول الله ﷺ فقلن له: يا رسول الله ما نحن إلا كهيئة كبشة غير أنه لم يتزوجنا الأبناء بل تزوجنا أبناء عمومة أزواجنا.

فصرفهنّ الرسول كما فعل مع كبشة حتى يأتي فيهم أمر الله.

ونزلت الآيات الكريمة تردُّ هذا الباطل وتقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تفصلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾[1].

رحم الله كبشة فقد كان من قصتها توجيه قرآني ينصف المرأة ويجعل علاقتها بالرجل ساميةً لا يحكمها ظلم، ولا يتحكم فيها استبداد جاهلية.

---

(١) النساء الآية ١٩.

أم بشر بنت البراء بن معرور

بسم الله الرحمن الرحيم.. قال تعالى:

﴿ وإن مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيَّاً. ثم نُنَجّي الَّذِينَ آتَّقواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيَّاً ﴾[1].

عن جابر بن عبد الله ـ عن أُم مبشر ـ عن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهِدَ بدراً والحديبية».

فقالت حفصة: فأين قول الله عزّ وجل؟: ﴿ وإن مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها كان عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مقضيّاً ﴾.

فقال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ نُنَجِّي آلَّذِينَ آتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فيها جِثِيّاً ﴾[2].

كانت راوية حفّاظة، صحابية جليلة، تتشرف بالانتساب إلى أول رجل ضرب على يد رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وفي ذلك

---

(١) مريم الآيتان ٧١، ٧٢.

(٢) الحديث أخرجه أحمد عن جابر.

يقول كعب بن مالك أحد رجال العقبة: خرجنا في الحجة التي بايعنا فيها رسول الله ﷺ، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيِّدنا فكان أول مَن ضرب على يد رسول الله ﷺ، فشرط له وأشرط عليه، ثم بايع القوم.

والبراء بن معرور أول مَن استقبل الكعبة.

فيذكر أنَّه خرج في حُجاج قومه، وقد صلّوا وفَقِهوا، فقال البراء بن معرور: يا هؤلاء قد رأيت ألاّ أجعل هذه البنّية منّي بظهر (يقصد الكعبة) وأن أُصلي إليها.

فقال أصحابه: والله ما بلغنا يا براء بن معرور أن نبيّنا ﷺ يصلّي إلاّ إلى الشام، وما نريد أن نخالفه ـ وكانت القبلة ما تزال في اتجاه بيت المقدس[1].

فلما قَدِموا على رسول الله من مكة قال البراء بن معرور لكعب بن مالك: (يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله حتى تسأله عمّا صنعت في سفري)[2].

فدخل كعب مجلس رسول الله، فإذا بالعباس جالس،

(١) وقد نزلت الآيات بعد سرية عبد الله بن جحش، ﴿ ويسألونك عن الشهر الحرام ﴾ حتى ﴿ فلنولينّك قبلة ترضاها ﴾ وعليه فقد حدّدت قبلة المسلمين بالكعبة.

(٢) انظر الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ص ١٤٣ ط دار الفكر تحقيق علي نويهض ـ بيروت.

ورسول الله ﷺ جالس فسلّم عليه وجلس إليه فإذا بالبراء قد جاء خلفه وقال لرسول الله : يا نبيّ الله ، إني خرجت في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت ألّا أجعل هذه البنية ويشير (إلى الكعبة) منّي بظهر ، فصليت إليها ، وخالفت أصحابي ، فما ترى يا رسول الله؟

فقال عليه السلام : «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها» .

فرجع البراء بن معرور إلى قبلة رسول الله ﷺ ، وجعل يصلي وقبلته هي المسجد الأقصى .

ومات النقيب ، سيد بني عبد الأشهل قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً فلما قَدِمَ المدينة رسول الله ﷺ ، أتى قبره وكبَّرَ عليه وصلى .

هذا هو البراء والد أُم مبشر رضوان الله عليها ، وهي كما ذكرنا من كبريات الصحابيات . وهي مُحدِّثةٌ جليلة ، ومما روي عنها قولها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ألا أُخبركم بخير الناس؟» قالوا بلى يا رسول الله . فقال عليه السلام : «رجلٌ في غنيمةٌ له يقيمُ الصلاة ويؤتي الزكاة قد اعتزل شرور الناس»[1] .

تزوجت أُم مبشر زيد بن حارثة الصحابي الجليل ، وأمير السرايا الذي قالت عنه عائشة أُم المؤمنين رضوان الله عليها : ما

---

(١) الاستيعاب ج ٤ ص ٢٤٧٠ ، والإصابة ص ٤٧١ ج ٤ .

بعث رسول الله زيداً في جيش قطُّ إلا أقرَّه عليهم وقد قُتِلَ زيد بن حارثة في غزوة مؤتة فلما بلغ رسول الله ﷺ قتل زيد، وجعفر وابن رواحة قام ﷺ وذكر شأنهم وقال بادئاً بزيد: «اللَّهمّ اغفر لزيد، اللَّهمّ اغفر لزيد ثلاثاً اللَّهمّ اغفر لجعفر وعبد الله بن رواحة»(١).

وقد روت أُم مبشر عن الرسول ﷺ وحدّثت فكانَتْ نعمَ المحدِّثة وهي تروي عن جابر عن النبي ﷺ أنه دخل على أُم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال عليه السلام: «مَن غرس هذا النخل مسلم أو كافر؟». قالت: بل مسلم. فقال عليه السلام: «لا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْساً، ولاَ يَزْرَعُ زرعاً، فيأكُلُ منه إنسانٌ ولا دابَّة، ولا شيءٌ، إلاَّ كانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ»(٢).

رحم الله أُم مبشر فقد كانت سيدةً فاضلة، حفّاظة، محدِّثة ورثت الفضيلة، ونهلت الإيمان في بيت من بيوت الأنصار وكانت زوجة لرجل أحبّه الرسول ﷺ. وابنة نقيب سيد في قومه، مخلص في عهده، وفيٌّ في بيعته رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) سير أعلام النبلاء ج ١ ترجمة زيد رقم ٣٦ ص ٢٢٩.

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب المساقاة باب فضل الفرس والذرع ٢ ـ ١٥٥٢/٨.

أُم المنذر
سلمى بنت قيس النجاريّة

قالت أُم المنذر: جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار فشرط علينا أن لا نُشرِك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، ولا نغشّ أزواجنا، فبايعناه ورجعنا[1].

قال رسول الله: «ولا تغششن أزواجكنّ».

فقالت أُم المنذر: فقلت لامرأة مِنْهُنَّ ارجعي فسَلي رسول الله ﷺ ـ ما غِشُّ أزواجنا[2].

فقال عليه السلام: «تأخذ ماله فتُحابي به غيره، أي تحابين، أو تهادين، بماله غيره»[3].

كانت أُم المنذر من أوائل النساء اللاتي أسلمن، فهي المصلية للقبلتين فقد صلّت وقبلتها المسجد الأقصى قبل أن

---

(١) الاستبصار ص ٤٥.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٢٥.

(٣) الحلية ج ٢ ص ٧٧.

تنزل الآيات بالكعبة قبلة المسلمين، ثم صلّت إلى الكعبة شأنها شأن المسلمين الذين شهدوا كثيراً من المشاهد، وأم المنذر سيدة نجارية من بني النجار تعدّ من خالات[1] النبي ﷺ.

كانت رضوان الله عليها إحدى نساء بني عديّ بن النجار، اللاتي جئن إلى رسول الله ﷺ ليبايعنه على ألّا يشركن بالله شيئاً» وتوقفت عند كلمة ولا تغششن أزواجكنّ.

ثم أرسلت مَن يسأله: ما غشُّ أزواجنا؟

لقد سمعت وأسمعت كُلَّ نساء المسلمين في كل زمان كيف يكون غش أزواجهنّ، ربما لا يدرين بما يفعلن، فتجيء سُنّةُ رسول الله ﷺ وتقول: «تأخذ ماله فتحابي به غيره» - إذ ليس للزوج بديل يُحابي ويجامل من الزوجة، فهو أقرب الناس إلى نفسها تحفظه في عرضه وماله.

وقد وضَّح رسول الله ﷺ هذا المعنى بصفة مفصّلة عندما قال: أي تحابين أو تهادين بماله غيره.

والآن - نتعرف على نسبها الشريف فهي..

(سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية)[2].

---

(١) ابن إسحاق في المغازي.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٢٥.

تكنى أُم المنذر، وكنيتها أشهر من اسمها الذي ذكرناه.

شقيقها بطل من أبطال الجسر، إنه سليط بن قيس، المشهور بالجرأة والشجاعة فقد شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم الجسر مع أبي عبيد، وكان عمر بن الخطاب لما بعث أبا عبيد إلى العراق قال له: إنه لم يمنعني أن أستعمل سليط بن قيس إلاّ أنه رجل يتسرع إلى الحرب، ولا يصلح للحرب إلاّ الرجل المتأنّي، أخاف أن يوقع المسلمين في موقع يهلكهم، فاستشره واستمع منه، فلما بلغ أبو عبيد، حلف أبو عبيد ليقطعنَّ الفرات عند الجسر، وكان من رأي سليط أن لا يقطعوه فناشده الله وقال:

إن العرب لم تلقَ مثل جمع فارس منذ كانت، وإنهم سيلقونهم بزهاء وعدّة لم يكن يلقاهم بها قبلهم، فاجعل يا أبا عبيد ملجأً ومرجعاً يرعوون إليه من هزيمة إن كانت.

قال أبو عبيد: لا والله لا أفعل، جبنت والله يا سليط!!

قال سليط: لا والله، ما جبنت، ولا أنا أجرأ منك نفساً وقبيلاً، ولكن قد أشرتُ عليك بالرأي، فقطع أبو عبيد الجسر، وألحم الناس وتقاتلوا وشدَّ أبو عبيد على الفيل، فضرب مِشفره، وبركَ الفيل عليه فقتله وهرب الناس، وحامى عنهم سليط حتى قُتِل، وانحاز المثنى في بقية الناس وقد برهنت نتيجة المعركة، أنّ الرأي ما رآه سليط.

وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة المسلمين وفقدهم بضعة آلاف ما بين قتيل وغريق ولما وصل فلّهم إلى المدينة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فئتكُم، إنما انحزتم إليّ).

وبقي المثنى مرابطاً حيال العدو حتى أمدّه عمر بمدد زاخر من معظم قبائل العرب مثل بجيلة وبكر بن وائل وتميم وسواهم، فظفوروا بالفرس ظفراً كبيراً وقتلوا كثيراً من جيشهم[1].

هذا الرجل سليط بن قيس أحد رجال هذه الأُسرة الكريمة التي تنتمي إليها أُم المنذر تلك الأُسرة الطيبة الطاهرة.

أُم المنذر جاءت إلى رسول مبايعة مرة أُخرى ـ لقد بايعت تحت الشجرة بايعت رسول الله ﷺ عندما قال وقد احتجز الكفّار عثمان بن عفان في حكمه وقد قصد المسلمون السلام وخرجوا للعمرة فقال عليه السلام: «لا نبرح حتى نناجر القوم، ودعا أصحابه، فجاءت أُم المنذر تبايع في نساء من بني عدي بن النجار رضوان الله عليهم أجمعين وتنال رضى ربها»، وينزل قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم﴾[2].

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٦٨ ـ ٧٨.

(٢) سورة الفتح من الآية ١٨.

هنيئاً لأُم المنذر رضوان الله، هنيئاً لها اليد المباركة التي بايعت وشهدت الرسول يضرب كفّاً بكف وكأنه يقول هذه بيعة عثمان.

رحم الله أُم المنذر الصوّامة القوّامة.. وجعل قدوة لبناتنا ونسائنا.. من جيل نساء المسلمين هذه الأيام.

قل الله يفتيكُمْ
هند بنت عمرو بن حرام

قال تعالى:

﴿ سابِقُوا إلى مغفرة من ربكم وجنَّةٍ عَرْضُها كعرض السماءِ والأرض أُعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاءُ والله ذو الفضل العظيم. ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض وَلَا في أنفُسِكُمْ إلَّا في كتابٍ من قَبْلِ أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾[1].

السيدة الجليلة الفاضلة هند بنت عمرو بن حرام شقيقة النقيب أبي جابر عبد الله بن عمرو بن حرام أحد شهداء المسلمين في غزوة أُحُد.

صبرت واحتسبت وكانت من النساء اللاتي آمَنَّ بالله ورسوله وكُنّ قانتات صوّامات مجاهدات في سبيل الله عزَّ وجل.

مات أخوها أبو جابر ـ وترك جابراً ابنه، ومعه سبع بنات أُخر، فمرض جابر بن عبد الله وكان الرسول ﷺ يحبّ إسلام

(١) الآيات من ٢١ ـ ٢٢ من سورة الحديد.

هذا البيت الأنصاري المجاهد، فذهب لعيادة جابر ابن شقيق السيدة هند بنت عمرو بن حرام فقال جابر: يا رسـول الله لا يرثني إلا كلالة، فنزلت الآيات الكريمة تجيب على سؤال جابر، وتجد حلاً لهذه الفتوى فتقول: ﴿ يستفتونكَ قل اللهُ يفتيكم في الكلالة إن امرُؤ هلك ليس له وَلَدٌ ولَهُ أُخْتٌ فلها نِصْفُ ما تَرَكَ وَهُوَ يرثُها إن لَّمْ يَكُن لها وَلَدٌ فَإن كَانَتَا اثنَتَين فَلَهُمَا الثلثان مما تَرَكَ وإن كانُوا إخوةً رِجَالاً ونساءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَينِ يبيّن الله لكـم أن تَضِـلُّوا واللهُ بِكُـلِّ شـيءٍ عَلِيم ﴾[1].

ضربت السيدة هند بنت عمرو بن حرام المثل العظيم لإمرأة امتُحنت في دينها، وفي زوجها قبل إسلامه، وفي دماء زوجها وشقيقها أبي جابر عبد الله بن حرام ولنتحدّث في البداية عن محنة الزوج.

أولاً ـ محنة الزوج:

كان عمرو بن الجموح زوج السيدة هند بنت عمرو بن حرام رضوان الله عليها زعيماً من زعماء يثرب من الجاهلية، ورجلاً من خيرة رجال المدينة، شأنه شأن الأشراف الكرام.

وقد كان من عادات الجاهلية ـ أن يتخذ الأشراف لأنفسهم أصناماً في بيوتهم يذبحون لها في المواسم، حتى إنهم وصلوا

---

(١) الآية ١٧٦ من سورة النساء.

لدرجة أن يدعوه وقت الحاجة ليعينهم هذا إذا كان الصنم قادراً على إعانتهم بشيء!!.

وفي بيت عمرو بن الجموح - أُقيم صنم يسمى مناة، وكان عبارة عن تمثال من الخشب الحبشي الذي جيء به خصيصاً لهذا الغرض، وقد أحسن عمرو بن الجموح التوصية بصناعته ثم وضع بداخله العطور وغيرها من دهانات الخشب، وبينما هو على ذلك الحال جاءت الأخبار تتواتر بوصول سفير للدين الجديد الذي يدعو إليه شاب قرشي في مكة هو محمد بن عبد الله ﷺ.

تاقت هند بنت عمرو بن حرام إلى سماع شيء مما يقوله الرجل الجالس في ديار بني عبد الأشهل في أطراف المدينة هناك - وسعت سعياً حثيثاً لذلك ولكن ما أثلج صدرها هو أن أبناءها الثلاثة معوذ، ومعاذ، وخلاد سبقوها إلى مصعب بن عمير وسمعوا منه وشهدوا أنه لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

سمعت هند من أبنائها كلاماً حلواً جميلاً ولما سألت أبناءها الثلاثة عرفت أن هذا هو كلام الله الذي نزل على محمد بن عبد الله ﷺ، وما زالت تعالج ذلك وتسمع حتى أسلمت سرّاً دون أن يشعر عمرو بن الجموح زوجها بما حدث في بيته وأحسّ عمرو بن الجموح أن شيئاً ما قد حدث في بيته ربما يكون الأبناء قد دخلوا في دين محمد وسمعوا كلام هذا الرجل القادم من عنده..!!

جاء عمرو بن الجموح إلى زوجته هند وقال: احذري يا هند أن يلتقي أبناؤك بهذا الرجل القادم من مكة. فقالت: لِمَ أنت خائف منه. فقال عمرو: احذري حتى نرى رأينا فيه. فقالت هند: ألم تسمع شيئاً من أبنائك عن هذا الرجل. قال: ما سمعت شيئاً منهم، آمنوا بكلامه وصدّقوه؟

عند ذلك ارتبكت هند وقالت: ما قصدت هذا يا رجل، وإنما ابنك معاذ يحضر بعض مجالسه، وقد حفظ شيئاً من كلامه.

فغضب عمرو بن الجموح ونادى في غضب: معاذ، معاذ، تعالَ إلى هنا بين يدي فجاء معاذ بين يدي والده فبادره أبوه قائلًا: أحضرتَ مجلس صاحب محمد؟ قال معاذ: نعم يا أبي، وسمعت كلاماً طيباً ينير القلوب ويهدي النفوس. قال عمرو: أسمعني شيئاً من كلامه. قال معاذ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم - بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ الحمد للهِ رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالّين ﴾. قال عمرو بصوت هامس كأنه يتحدث إلى نفسه: ما أجمل حديث هذا الرجل، وهل كل حديثه بهذا البيان والجمال.

عند ذلك فرح الفتى بحديث أبيه الهامس وقال له: نعم يا أبي كل كلامه حلو البيان جميل المعنى هل لك يا أبي أن

تبايعه ـ لقد بايعه رجال من أشراف القوم هم: سعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة، وسمعت أن أسعد بن زرارة قد بايعه. وكلهم سادة وأشراف من الأوس والخزرج.

قالت هند: ويحك يا أبا معاذ.. ألا تسمع كلام الفتى وتذهب وتبايع. فقال عمرو: أمهلوني حتى أعود إلى آلهتي وأستشيرها في الأمر سأذهب لأستشير مناة. فقال الفتى متمتماً: وهل يجيبك أخرس لا ينطق. فقال عمرو في غضب: ما تقول يا فتى؟ قال معاذ: لا شيء يا أبي.. لا شيء.

توجه الرجل إلى صنمه وزوجته هند تتأمله صامتة إلى أن يأذن الله بأمر كان مفعولاً فكيف يشير على صنم أخرس لا يتكلم.

وفكر ابنه في شيء يجعله يكره هذا الصنم، فأخذه ليلاً وألقاه خارج المدينة. ولما لم يجده ثار وغضب: أين صنمي؟ فلم يجد في البيت مَن يجيب ولما بحث عنه وجده مُلقى على رأسه في حفرة على أطراف المدينة، وأعاده إلى بيته، ولكن الفتى وأصحابه لم يتركوه فكرروا العمل ومثلوا بالصنم فربطوه في جثة حيوان ميت. فجاء عمرو بن الجموح ونظر فإذا بمنظر بذيء لا يطاق فعاد إلى داره وقد اهتزّت جاهليته ـ وتلاشت وبدا يفكر في دين محمد ولما عاد إلى بيته ـ وجد زوجته وأبناءه في معزل عنه وقد صمتوا عن قراءة آيات حفظوها من مصعب بن عمير ـ فبادرهم قائلاً ـ ألستم على ما أنا عليه؟ قالت

هند: بلى يا أبا معاذ أنت سيدنا. فقال: إذن أُشهدكم بأني آمنت بما جاء به محمد ـ أشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

سعدت هند بهذا الحديث وأرسل عمرو ابنه معاذاً إلى مصعب بن عمير يقول له:

ـ ما هذا الذي جئتمونا به؟

فأجاب مصعب: قل له يا بنيّ ـ إن شئت جئناك، فأسمعناك القرآن ـ فرجع معاذ مُبلِغاً الخبر.

فقال عمرو: ادعه يا بني ـ فليأتِ مرحباً وأهلاً.

عند ذلك تشرّف بيت السعيدة الجليلة هند بنت عمرو بن حرام بمجيء مصعب بن عمير إليها ونزوله ضيفاً للحظات في دارهم.

وجاء مصعب وقرأ على عمرو سورة يوسف، فانبعث الفوز في قلبه وأطرق السمع وسكنت نفسه ودخل الإسلام من أوسع الأبواب.

وجاء الرسول إلى المدينة وانتظمت سيرة الإسلام في بيت هند الزوج والأبناء جميعهم على دين الله ـ دخلوه أفواجاً ـ وكان يوم بدر وانتصر المسلمون وفي يوم أُحُد سمع بيت عمرو بن الجموح دعوة الرسول للقتال إذ قال فيها عليه السلام: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض».

فتقلد عمرو سيفه وكان رجُلاً أعرج، فقالت هند يا أبا معاذ أنت غير قادر على الجهاد وقد رخص لك الإسلام ذلك فقال لهند: «والله يا هند لا تحزن عليها في الجنة»[1].

وجاءه الأبناء الثلاثة ومنعوه من الخروج إلى القتال وقالوا: عذرك يا أبانا ليس على الأعرج حرج!!

فـذهب إلى رسول الله ﷺ واشتكى أهله وأبنـاءه وقال: يمنعوني وأرغب في القتال يا رسول الله ـ فقال الرسول ﷺ لأبنائه: «عليكم لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة، أما أنت فقد عذرك الله».

انطلق عمرو بن الجموح إلى داره بعد هذه الكلمات، وطرق بابه مسرعاً وجاءت هند وأدخلته ـ فدخل مسرعاً منتشياً. وها هي ذي تقول كأني أنظر إليه وهو يقول: اللَّهمّ ارزقني الشهادة، اللَّهمّ لا تردّني إلى أهلي خائباً.

وتقلّد سيفه وأخذ رمحه وانطلق إلى ميدان القتال، وقاتل أبناؤه كالأسود. قاتلوا مع رسول الله، وقاتل الشيخ العجوز الأعرج حتى نال الشهادة. واحتسبت هند زوجها ولكنها لم تكد تعلم بخبر استشهاد زوجها حتى جاء مَن يفجعها في أخيها النقيب (أبي جابر) عبد الله بن عمرو بن حرام.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٥٣.

فجلت تبكي والدموع غزيرة وقد أخذتها العاطفة وبكى معها بناته وجابر ابنه يبكي أيضاً والقوم ينهونهم عن ذلك ـ فمرّ بهم الرسول ﷺ وقال: «ابكوه أو لا تبكوه، فوالله ما زالت الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رفعتموه».

وحملت هند جثمان شقيقها عبد الله بن عمرو بن حرام، وجثمان زوجها عمرو بن الجموح فنظر الرسول إلى جثمان عمرو بن الجموح ـ وتذكر قوله والله لا تحزن بها إلى الجنة.

فقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده إن منكم لمن لو أقسَمَ على الله لأبرّه منهم عمرو بن الجموح، رأيته يطأ الجنة بعرجته»[1].

والتقت هند بالنسوة وكانت فيهنّ عائشة فروت هذا المشهد وقالت رضوان الله عليها: خرجنا صبيحة يوم أُحُد عند السحر، فإذا امرأة أقبلت بين عدلين (حملين) فقلنا لها: ما الخبر؟

قالت: خيراً، دفع الله عن رسوله وعن المؤمنين، واتخذ الله من المؤمنين شهداء، ثم تلت قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذينَ كَفَرُواْ بغَيْظِهِم لَمْ يَنَالوا خَيْراً وكَفَى اللهُ المؤمنينَ القتالَ، وكانَ الله قويّاً عزِيزاً ﴾[2].

---

(١) رواه أحمد والشيخان.

(٢) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

ثم قالت لبعيرها (حَلْ ـ حَلْ)[1] فقلنا ما هذا؟ قالت: أخي وزوجي ـ ودُفِنَ الشهيدان في قبر واحد رحم الله الصابرة المحتسبة هند بنت عمرو بن حرام ـ فقد ضربت المثل في الصبر والرضا بقدر الله.

(١) حَلْ: كلمة زجر تُقال للبعير أو الناقة.

أسماء بنت يزيد الأنصارية

كانت من ذوات العقل والدين[1] ـ هكذا أجمع الرواة على وصفها.

كان يقال لها خطيبة النساء لفصاحتها وبلاغتها في الحديث ومخاطبة الناس كانت من النساء اللاتي روين عن رسول الله ﷺ.

شاركت المسلمين في مشاهد ومواقف كثيرة بالإضافة إلى أنها من النساء المبايعات بل وقادت المبايعات إلى رسول الله ﷺ فلذلك سُمِّيت خطيبة النساء.

بالإضافة إلى ذلك كانت فارسة تشهد لها موقعة اليرموك ـ والتي قتلت فيها تسعة رجال بفسطاطها.

وهي ابنة عمه معاذ بن جبل حواري رسول الله ﷺ بل ومن أقرب أصحابه في المدينة ـ طالبت بحقوق المرأة أمام سيّد

(١) جاء هذا الوصف في الاستيعاب للقرطبي المالكي ج ٤ ص ٢٣٣.

المرسلين فنالت شرف نقل هذه الرواية عن رسول الله وأكدت أجر المرأة القائمة على بيتها وأبنائها وزوجها تؤدي واجبات ضمن الإسلام لها حقوقها وحقوق كل أبناء جنسها من بنات حواء اللاتي تعلن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لقد بايعت الرسول على الإيمان والإسلام على أنه لا إله إلا الله وأنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله وخاتم المرسلين فكانت بيعة مباركة ـ من بنية مباركة ـ سليلة قوم لهم الفضل في استقبال أول سفير للإسلام وهو مصعب بن عمير ـ إنها من بني عبد الأشهل التي احتضنت ديارهم (مصعب الخير) ـ إنها دار نقيبهم أسعد بن زرارة رضي الله عنه الأنصاري الزعيم من الرعيل الأول والسابقين إلى البيعة في العقبة المشهورة ـ هذا هو الإطار ولنترك الإطار إلى الصورة ـ إلى السيرة سيرة أسماء بنت يزيد الأنصارية.

النسب

هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية ـ وهي بنت عم معاذ بن جبل.

وكانت تكنّى أُم سلمة الأنصارية ـ راوية من نساء المدينة اللاتي روين عن رسول الله ﷺ قالت سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «لا تقتلنّ أولادكنّ سرّاً ـ قال الفيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه»[1].

وجاء في الحلية[2] أنها روت عن الرسول ﷺ قوله: «مَن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة».

وقد روى عنها ابن أخيها محمود بن عمرو الأنصاري، ومهاجر بن أبي مسلم مولاها. ويعتبر شهر بن حوشب هو أكثر الناس رواية عنها.

كانت من الأنصاريات اللاتي يدخلن بيت عائشة في المدينة ويسمعن من رسول الله ﷺ وقد روى عنها شهر بن حوشب هذا الحديث فقال: إن أسماء بنت يزيد كانت تخدم النبي ﷺ، قالت فبينما أنا عنده إذ جاءته خالتي.

قالت: فجعلت خالتي تسائله وعليها سواران من ذهب. فقال لها رسول الله ﷺ: «أيسرّك أن عليك سوارين من نار؟»[3].

قالت أسماء: قلت يا خالتاه إنما يعني سواريك هذين، فألقتهما وقالت: يا نبيّ الله إنهنّ إذا لم يتحلين صلفن عند أزواجهن، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «أما تستطيع أن

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ٢ ص ٧٦.

(٣) رواه أحمد عن عطا عن عبد الجليل القيس عن شهر بن حوشب ونقله أبو نعيم في الحلية.

تجعلي خوقاً (حلّة) من فضة، وجمانة من فضة، ثم تخلقه بزعفران فيكون كأنه من ذهب، فإنه مَن تحلى وزن عين جرادة ادّخر بصيصة كوى بها يوم القيامة».

المبايعة وخطيبة النساء

هذا الموقف يُعدُّ أشهر مواقف السيدة الجليلة أسماء بنت يزيد الأنصارية رضوان الله عليها فلنشهد سوياً صور هـذا الموقف عن قرب.

فقد فُوِّضت من قِبَل نساء الأنصـار في المدينـة بالبيعـة والمبايعة عنهنّ أمام رسول الله لفصاحتها وعلمها.

وبينما الرسول جالس في كوكبة من أصحابه في موضع مجلسهم المعتاد يقرأ عليهم كتاب الله ويهديهم بـإحسان. والجمع ينهل من حديثه العـطر ـ كلٌّ منهم صـامت ساهِم بخشوع يطبق قول الله عزّ وجل: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الآية.

في هذا الوسط العطر كان الرسول ﷺ يستقبل مَن يجيء إلى حضرته المباركة من أهل المدينة رجالاً ونساءً يسمع لهم ويجيبهم، وكان مما جاء في هذا اليوم إلى مجلس رسول الله ﷺ السيدة أسماء بنت يزيد الأنصارية واستأذنت رسول الله ﷺ وكان عليه السلام لا يصابح النساء.

قالت أسماء: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله أنا وافدة النساء ـ من جماعة نساء المسلمين كلهنّ يقلن بقولي وعلى مثل رأيي ـ إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنّا بك وبإلٓهك واتبعناك ونحن معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهنّ.

فضّلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج والجهاد وإذا خرجتم للجهاد حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربّينا لكم أولادكم أفنشارككم في هذا الأجر يا رسول الله؟.

هذه البلاغة والدقة في التعبير كانت موضع تقدير لهذه السيدة الفاضلة من الرسول ﷺ ـ بل وكانت موضع دهشة الحاضرين في مجلسه الكريم حتى إنه ﷺ نظر إلى أصحابه وقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه».

فقالوا: ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا يا رسول الله.

فقال الرسول ﷺ: «انصرفي يا أسماء وأعلِمي مَن وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكنّ لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ماذكرت للرجال».

فانصرفت أسماء وهي تردّد الله أكبر ـ لا إلٓه إلا الله ـ أشهد أنّ محمداً رسول الله استبشرت بقول رسول الله وسكنت نفسها

إلى عدالة الإسلام وسموّ تشريعه وتاقت نفسها للجد والإسراع في إبلاغ هذا النبأ الطيب إلى صاحباتها من النساء. وهل هناك أطيبُ وأحبُّ من نبأ بيعة الإسلام وبيعة هؤلاء النسوة لرسول الله ﷺ.

لم تتركها المشاهد العظيمة في الإسلام فخرجت خلف الرجال في الغزوات تجاهد بالسيف وبيدها الرقيقة تضمّد جراح الجرحى وتخلي الشهداء رغم غزارة دموعها ـ أنا واحدة من عشرات بل ومئات النساء الطاهرات اللاتي يضرب بهنّ المثل في معارك الإسلام الأولى ومنهنّ مَن استشهدت في سبيل دعوة الحق وكانت أول شهيدة في نساء الإسلام سميّة زوجة ياسر وأم عمّار.

كان لأسماء الحظوة في مشاهد كثيرة ومعارك الإسلام ضد الشرك والوثنية قادها الرسول في المدينة عقب وصوله إليها ـ فلن ينقض عهداً ولم يظلم أحداً بل حارب الخيانة والنفاق فانتصر الحق وزهق الباطل ـ وكانت السيدة أسماء عَلَماً من أعلام يوم اليرموك أحد أيام العرب الخالِدة.

يــوم اليرموك

في هذا اليوم جمع هرقل جموعاً كثيرة من الروم وممّن تبعه من أهل الشام وأهل الجزيرة وأرمينية فكوَّن زهاء مائتي ألف جندي وولّى عليهم رجلاً من خاصّته، وعزم على محاربة المسلمين ـ وتقابل الجيشان على ضفاف نهر اليرموك فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه على هذا النهر، وكان جيشُ المسلمين يومئذ أربعة وعشرين ألفاً وتسلسل جيش الروم وأتباعهم يومئذ لئلا يطمعوا أنفسهم في الهرب وقتل منهم وجُرح وهرب في هذا اليوم زهاء سبعين ألفاً وتفرقوا في البلاد في فلسطين وأنطاكية وحلب والجزيرة وأرمينية[١].

في هذا اليوم يوم اليرموك قاتلت النساء نساء المسلمين مهاجرات وأنصاريات قتالاً شديداً، وكان من بين نساء المهاجرين هند بنت عتبة أُم معاوية بن أبي سفيان وهي تقول: (عضّدوا الغلمان بسيوفكم)[٢].

أما صاحبتنا الجليلة الطاهرة فلم ترفع صوتها لتآزر أحداً وإنما أمسكت بعمود خيمتها وأخذت موقعاً يشرف على مرور فرسان الروم وراحت تضرب ضرباتها الساحقة ـ فيقع الفارس

---

(١) فتوح البلدان ـ للإمام ابن الحسن البلاذري، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(٢) المصدر السابق ص ١٤١.

من جند الروم يوم اليرموك فما هي إلا ضربات متلاحقة حتى تقضي عليه وتجرّده من سلاحه فاستطاعت أن تقتل تسعة من فرسان الروم في هذا اليوم المشهود يوم اليرموك ـ ولم تُصَب بأذى وعادت إلى المدينة مع جحافل المنتصرين تؤكد أن بيعتها لم تكن بيعة نساء فقط وإنما عهد على الطاعة حتى الموت ـ رغم أن الرسول ﷺ عندما بايعنه النساء لم يكلِّفهنّ بشيء من هذا وإنما قال لهنّ: «فيما استطعتنّ وأطقتنّ» أي قدر استطاعتكنّ فكانت أسماء بنت يزيد مثلاً عظيماً للفتاة المجاهدة والمرأة الفارس في يوم تغيّر فيه التاريخ بفضل لصالح انتشار الدعوة الإسلامية ـ وعاشت السيدة أسماء بعد اليرموك دهراً طويلاً وماتت على فراشها ـ كما يموت الناس فلا نامت أعين الجبناء.

الفهـــرس